ضمير الشَّأن في القرآن الكريم
دراسة نحوية بلاغية

عمار نعمة الزيادي
جامعة القادسية/ كلية التربية

المقدمة:

تميز ضمير الشَّأْن من بقية الضمائر بعدة أمور منها: إنه لا يعود على ما قبله كبقية الضمائر، وإنه تميز بالابهام ثم التفسير المذكور في الجملة الآتية بعده، لتعظيم الأمر، وتفخيم الشأن؛ فضلاً عن أنَّ له شروطاً تميزه من بقية الضمائر، زيادة على كثرة التسميات التي سُمي بها هذا الضمير.

ان اختلاف النحاة والمفسرين في هذا الضمير وهذه الاسباب مجتمعة دفعتني الى هكذا دراسة وقد وسمت بعنوان: ((ضمير الشَّأْن في القرآن الكريم دراسة نحوية بلاغية))، وقد اقتضت طبيعة الدراسة تقسيم البحث على مبحثين سبقتهما توطئة ذكرتُ فيها: تسميات هذا الضمير، وشروطه التي تميزه من بقية الضمائر، وذكرت أيضاً رأي النحويين في دلالته على التعظيم، ومن ثُمَّ رأي البلاغيين.

اما المبحث الأول، فدرست فيه هذا الضمير مذكوراً، وقد قسمته على منفصل، ومتصل، في حين قُسم هذان العنوانان على عدة أقسام أيضاً.

أما المبحث الثاني، فتناولت فيه ضمير الشَّأْن محذوفاً وقد قسمته على قسمين أيضاً أولهما: القسم الذي وردت فيه (إنْ) المخففة مع اللام الفارقة، وثانيهما: القسم الذي وردت فيه (أنْ) المفتوحة الهمزة المخففة، وهو أيضاً مقسم على قسمين، ومن ثم ذكرت جملة من النتائج، واعقبتها بالملخص باللغة الانجليزية، ثم قائمة المصادر والمراجع.

توطئة:

تقسم الضمائر في العربية على عدة أقسام، منها: ضمير الغيبة ويقسم هذا الضمير أيضاً على قسمين: قسم يحتاج إلى تفسير، والآخر لا يحتاج إلى تفسير، فأما القسم الذي لا يحتاج إلى تفسير، فهو مقسم على قسمين أولهما: القسم الذي يفسره المفرد، وثانيهما: القسم الذي تفسره الجملة، وسيكون كلامنا –هنا– عن القسم الذي تفسره الجملة، وهو ضمير الشَّأْن[1].

والشَّأْن في العربية يدل على الخَطْب، والأمر، والحال[2]، ولهذا الضمير عدة تسميات هي: ضمير الشَّأْن، والضمير المجهول، والأمر، والحديث، والقصة، وضمير العماد، وضمير الحالة، أما الشَّأْن، والحديث، والقصة فهي من اصطلاحات البصريين إذ نظروا إلى دلالته على تعظيم الأمر في نفسه أو أنَّهم قَدَّروا من معنى الجملة اسماً جعلوا ذلك الضمير يفسره ذلك الاسم المقدر حتى يصح الاخبار بتلك الجملة عن الضمير[3]؛ زيادة على أنَّهم ذكروا أنَّ تسمية الشَّأْن للضمير المذكر انما هو رعاية للمطابقة، وأنَّ تسميته بالقصة للمؤنث لتحصل المناسبة[4]، ويسميه الكوفيون بالضمير المجهول؛ لأنَّه لم يتقدمه ما يعود عليه إذ لو تقدم تفسيره قبله لما احتاج إلى تفسير، ولما سمّاه الكوفيون بهذا الاسم [5].

ويبدو لي أنَّ تسمية البصريين كانت اكثر تصريحاً في التعبير عن هذا الضمير خلافاً لما يراه الدكتور مهدي المخزومي من أنْ ليس هناك خلاف في مأخذ التسمية[6]؛ ذلك أنّه يعود على ما بعده لزوماً إذ لا يجوز للجملة المفسرة له أنْ تتقدم هي، ولا شيء منها عليه، ومن ثُمَّ أنَّ الجملة لم يؤتَ بها لمجرد التفسير؛ بل هي كسائر المبتدآت، ولكنَّها سميت تفسيراً للإبهام ثم التفسير، وتعظيم الأمر، وتفخيم الشَّأْن فلابد أنْ يكون مضمون الجملة شيئاً عظيماً يعتنى به[7]، فهذا الكلام يوافق تسمية البصريين ثم إنَّ المعاني المعجمية – لمصطلح الشَّأْن– هي: الخَطْب، والأمر، والحال[8]، وهذه أيضاً تجعل تسمية البصريين اكثر صحة في الدلالة على ضمير الشَّأْن.

أمَّا المصطلحات الأخرى التي ذكرت بازاء هذا الضمير، فهي: الحديث، والأمر، والحالة إذ اننا وجدنا بعض اللغويين، والمفسرين من يستعمل مصطلح الشَّأْن تارة، ويستعمل بازاءه مصطلحي الأمر،

---

(1) ينظر: شرح جمل الزجاجي، ابن عصفور: 2/ 98.

(2) ينظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي: 4/ 240، ولسان العرب: ابن منظور: 13/ 23.

(3) ينظر: شرح كافية ابن الحاجب، عبد العزيز الموصلي: 339، وهمع الهوامع، السيوطي: 1/ 224.

(4) ينظر: الفوائد الضيائية، نور الدين الجاميّ: 2/ 90.

(5) ينظر: الخصائص، ابن جني: 2/ 397، وشرح الرضي على الكافية: 2/ 466–467.

(6) ينظر: مدرسة الكوفة: مهدي المخزومي : 311.

(7) ينظر: شرح الرضي: 2/ 465، ومغني اللبيب: ابن هشام: 2/ 637.

(8) ينظر: القاموس المحيط: 4/ 240، ولسان العرب: 13/ 230.

والحديث تارة أخرى كالنَّحاس، والجرجاني والطبرسيّ، والقرطبي[1]، ومن ينعم النظر في دلالة الأمر، والحديث يجدها لا تقل شأناً عن دلالة ضمير الشَّأْن في تفخيم الأمر، وتعظيمه إذ إنَّ كلتا التسميتين تدل على الأمر العظيم.

وقد استعمل الجامع النَّحويّ ضمير الحالة للدلالة على ضمير الشَّأْن والقصة، إذ عزا محقق الكتاب – في أثناء دراسته المصطلحات – أنَّ الجامع النحويّ استعمل مصطلحاتٍ خاصة به بعضها نحوية، وبعضها غير نحوية؛ بل تعبيرية[2].

ولعلَّ سبب التسمية يعود إلى ما يتميز به ضمير الشَّأْن من تفخيم، وتعظيم في حين نجد بعض اللّغويين، والنحويين من يسميه ب (مصطلح العماد) فالمتصفح لبعض كتب الكوفيين يجد هذه التسمية واضحة، ومن ذلك قول الفرّاء: ((وقوله: ﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الانبياء: 97] تكون هي عماداً يصلح في موضعها هو...))[3]. ولم يقتصر هذا المصطلح على الفراء فحسب؛ بل كان قد ذكره من سبقه أعني الكسائيّ إذ قال الفراء –في اثناء حديثه– عن قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الاخلاص:1] قائلاً: ((وقد قال الكسائي، (وسيبويه)* من ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ عماد، فقال الفراء: هذا خطأ من قبل أنَّ العماد لا يدخل الا على الموضع الذي يلي الأفعال ويكون وقاية للفعل مثل: إنه قام زيد...))[4]، وهذا ما ذكره ثعلب أيضاً[5]. وقد ذهب بعض المحدثين إلى عدة مذاهب في هذه التسمية إذ نجد الدكتور إبراهيم السامرائي يذكر أنَّ المصطلح عند الكوفيين مادة غير مستقرة، فلذلك نجد للشيء الواحد مصطلحين كالضمير المجهول، والعماد لضمير الشَّأْن[6]، وكان الدكتور شوقي ضيف يرى أنَّ تسميته بهذا الاسم ،أي : العماد هي من قبيل التوسع في المصطلحات[7]، ومنهم من فاتته تسمية هذا الضمير بالعماد ، ولم يذكرها في كتابه مثل: الدكتور مهدي المخزوميّ، وخديجة أحمد مفتي، وتمام حسان[8]؛ على حين نجد المختار أحمد ينكر هذه التسمية على الفراء متهماً اياه أنه لم يكن دقيقاً في

---

[1] ينظر: اعراب القرآن: 2/ 24 و4/ 442، والمقتصد في شرح الايضاح: 1/ 439، ومجمع البيان: 6/ 345، و7/ 125، والجامع لاحكام القرآن: 10/ 124.

[2] الجامع النحوي حياته وآثاره مع تحقيق كتابه كشف المشكلات: عبد القادر السعدي: 1/ 206.

[3] معاني القرآن: 2/ 212.

* كذا وردت .

[4] المصدر نفسه: 299/3.

[5] ينظر: مجالس ثعلب: 2/ 354، و2/ 513.

[6] ينظر: المدارس النحوية اسطورة وواقع: 111.

[7] ينظر: المدارس النحوية: 200، 227.

[8] ينظر: مدرسة الكوفة: مهدي المخزومي : مصطلح المجهول: 311–312، ونحو القراء الكوفيين: خديجة احمد : 339، والأصول تمام حسان : 40.

اطلاق العماد على ضمير الشَّأن[1]، ويمكن الإجابة عن الدكتور ابراهيم السامرائي والمختار احمد بما يأتي:

إنَّ مصطلح العماد –الذي يراد به مصطلح الشَّأن –لم يذكره الفراء فحسب؛ بل ذكره قبله الكسائي[2]، فضلاً عن أنَّ ثعلباً ذكر المصطلح نفسه في كتابه المجالس[3]؛ زيادة على أني وجدت ابن شقير النحويّ يذكر أنواع الهاءات، ومن ضمنها: هاء العماد إذ قال: ((وهاء العماد مثل قولهم: إنه قام فيها أخوك، وإنه قام فيها أبوك...))[4]. فالأمثلة التي مضت تدل على أنَّ من النحويين الكوفيين من استعمل مصطلح العماد، وأراد به ضمير الشَّأن، والدليل الآخر: إنك تجد القرطبيّ يشير إلى أنَّ الكوفيين يعدون الهاء في قوله تعالى: ﴿يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النمل:9] عماداً، وليست بكناية[5]، فهذا الكلام يدل على أنَّ بعض النحويين الكوفيين قد سمى ضمير الشَّأن بالعماد، لذا يصبح من غير الممكن أنْ نتهم نحاة الكوفة أنَّ المصطلح النحوي لم يكن مستقراً عندهم أو أنْ نتهم عالماً لغوياً جليلاً بعدم الدقة في اطلاقه مصطلح العماد على ضمير الشَّأن، ولعل أحمد مكي الأنصاريّ جانب الصواب حينما ذكر أنَّ الفراء كان يؤسس مذهباً جديداً حتى في المصطلحات النحوية، وكنّا نرجو أنْ يذكر مصطلح العماد؛ لكنَّه أقرَّ أنَّ خشية الإطالة هي التي منعته من ذكر كل ما وقف عليه من المصطلحات إذ اقتصر على أكثرها ذكراً في الكتاب[6]، ولم نجد كتاباً يذكر سبب التسمية سوى ما ذكره الفراء، وثعلب نقلاً عنه، قال الفراء: ((...الهاء عماد تُوقى بها إنَّ...))[7]، والى هذا ذهب ثعلب أيضاً نقلاً عن الفراء إذ إذ ذكر أنَّ: ((...العماد لا يدخل الا على الموضع الذي يلي الأفعال، ويكون وقاية للفعل))[8].

وقال في موضع اخر من كتابه: ((إنما تقدم العماد –هاهنا– ليعلموا أنَّ الكلام يجيء مذكراً ومؤنثاً))[9]. وقد أجمع النحويون على أنَّ ضمير الشَّأن يدل على تفخيم الأمر وتعظيمه قال ابن جني: ((اعلم أنَّ الغرض بإضمار الشَّأن، والقصة في كان هو أنْ يبهم على المخاطب الحال، لتتوفر دواعيه على معرفتها؛ لأنَّ الإنسان يبحث عن علم ما ابهم عليه فحينئذٍ يكون أقرب إلى فهمه، وأكثر ما يكون هذا الإضمار في الزجر والوعظ، والوعيد، والايعاد وما جرى هذا المجرى...))[10]، وهذا ما أكده الرضيّ في

---

[1] ينظر: دراسة في النحو الكوفي من خلال معاني القرآن للفراء: 243، ولم يبين عدم الدقة عند الفراء .
[2] ينظر: معاني القرآن: 3/ 299.
[3] ينظر: مجالس ثعلب: 2/ 354.
[4] المحلى (وجوه النصب): 246.
[5] ينظر: الجامع لأحكام القرآن: 13/ 125.
[6] ينظر: أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة: 436 و455.
[7] معاني القرآن: 2/ 228.
[8] مجالس ثعلب: 2/ 354.
[9] المصدر نفسه: 2/ 593.
[10] اللمع في العربية: 99، وينظر: شرح الأشموني: 2/ 205.

قوله: ((...القصد بهذا الابهام ثم التفسير: تعظيم الأمر، وتفخيم الشَّأْن فعلى هذا لابد أن يكون مضمون الجملة المفسرة شيئاً عظيماً يعتنى به فلا يقال: هو الذباب يطير))[1].

ويبدو أنَّ اختلاف هذا الضمير عن بقية الضمائر بالإبهام ثم التفسير هو الذي جعلهم يضعون له شروطاً تميزه من بقية الضمائر وهي[2]:

1-عودة على ما بعده لزوماً إذ لا يجوز للجملة المفسرة له أن تتقدم هي، ولا شيء منها عليه.

2-إنَّ مفسرّه لا يكون الا جملة، ولا يشاركه في هذا ضمير.

3-إنه لا يتبع بتابع فلا يؤكد، ولا يعطف عليه، ولا يبدل منه.

4-إنه لا يعمل فيه إلاّ الابتداء أو أحد نواسخه.

5-إنه ملازم للإفراد فلا يثنى ولا يجمع.

وحريّ بالذكر أن نشير إلى أن برجستراسر ذكر أنَّ وجود هذا الضمير في العربية هو خصيصة فريدة من خصائصها إذ قال: ((...وهذا مما سمّاه النحويون ضمير الشَّأْن نحو: ﴿إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام: 135]، وأكثر ذلك بعد (إنَّ) كما في هذا المثال أو بعد (أنَّ)، وفائدة هذا التركيب: إنَّه يمكن للناطق من إدخال (إنَّ وأنَّ) على الجملة الفعلية...فهذا يشيد بمزيّة العربية شهادة بينة، فغيرها من اللغات السامية قد يقدم أمثال إنَّ على الجملة الفعلية وإن كان موضعها الأصلي أول الجملة الاسمية والعربية أعدمت الشواذ، وأقست قاعدة الحاق إنَّ وأخواتها بالجمل الاسمية، وهي مع ذلك اخترعت وسيلة لقلب الجملة الفعلية اسمية بغير تركيبها؛ لكي يمكن الحاق إنَّ وأخواتها بالجمل الفعلية بواسطة لا مباشرة))[3].

وعلى الرغم من دقة رأي المستشرق برجستراسر، وشهادته بمزية اللغة العربية هذه نجد بعض النحاة، والبلاغيين قد سبقوا هذا المستشرق الى اشارته هذه -وإن لم يكن صراحة- فمن ذلك قول ابن يعيش الذي رأى فيه: ((أنهم اذا أرادوا ذكر جملة من الجمل الاسمية أو الفعلية فقد يقدمون قبلها ضميراً يكون كناية عن تلك الجملة، وتكون الجملة خبراً عن ذلك الضمير، وتفسيراً له...))[4].

ولو ذهبنا إلى البلاغيين لعرض آرائهم لوجدناها لا تختلف عن آراء النحويين ولكن البلاغيين كانوا أقرب إلى فهم هذا الضمير من الناحية المعنوية، والدليل على ما نقول: النصوص التي سنوردها، ومن ذلك قول الجرجاني في أثناء حديثه عن إنَّ وأخواتها إذ قال: ((ومن خصائصها أنك ترى لضمير الأمر والشأن معها من الحسن واللطف مالا تراه اذا هي لم تدخل عليه بل تراه لا يصلح حيث صلح الا بها وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: 90]، وقوله

---

[1] شرح الرضيّ: 2/ 465.

[2] ينظر:شرح كافية ابن الحاجب: 339، ومغني اللبيب: 2/ 637، وشرح الأشموني: 2/ 205.

[3] التطور النحوي: 139-140.

[4] شرح المفصل: 2/ 335، وينظر: همع الهوامع: 1/ 426 على سبيل المثال لا الحصر.

تعالى: ﴿إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: 117]))[1]، ونفهم من كلام الجرجاني أمرين: أحدهما: إنَّ ضمير الشأن يفيد التوكيد، وهذا ما ذكره السيوطي أيضاً في قوله: ((...فلا يجوز حذف جزء منها، أي: الجملة المفسرة؛ فإنّه جيء به لتأكيدها وتفخيم مدلولها...))[2].

وثانيهما: إنَّ ضمير الشَّأْن يفيد الربط أو قل: انَّه يهيئ إنَّ وأنَّ للدخول على الجملة الفعلية فهذا يؤكد كلامنا الماضي من أنَّ العرب عرفوا هذه الفكرة التي صرح بها صاحب كتاب التطور النحوي.

وجاء في المثل السائر: ((اعلم أنَّ هذا الضمير لا يعدى إلى استعماله إلى ضرب من المبالغة فإذا جيء به في الكلام فانما يفعل ذلك لتفخيم امر المبهم واعظامه لانه هو الذي يطرق السمع اولاً فيذهب بالسامع كل مذهب كقوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾ [الحجر:66] ففسر ذلك بقوله: ﴿أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاءِ مَقْطُوعٌ﴾ وفي ابهامه اولاً، وتفسيره بعد ذلك تفخيم للأمر وتعظيم للشَّأْن فانه لو قال: وقضينا إليه ان دابر هؤلاء مقطوع لما كان بهذه المكانة من الفخامة فان الابهام يوقع السامع في حيرة وتفكر...))[3].

واختم كلام البلاغيين بمقولة صاحب الطراز الذي يرى: ((أنَّ ضمير الشَّأْن، والقصة على اختلاف أحواله انما يرد على جهة المبالغة في تعظيم تلك القصة وتفخيم شأنها وتحصيل البلاغة من جهة اضماره اولاً، وتفسيره ثانياً؛ لان الشيء اذا كان مبهماً فالنفوس متطلعة إلى فهمه ولها تشوق إليه ولأجل ما فيه من جهة اضماره اولاً، وتفسيره ثانياً؛ لأنَّ الشيء اذا كان مبهماً فالنفوس متطلعة إلى فهمه ولها تشوق إليه، ولأجل ما فيه من الإبهام لا يكاد يرى الاّ في المواضع البليغة المختصة بالفخامة))[4].

---

[1] دلائل الاعجاز: 207، وينظر: المثل السائر: 2/ 27.

[2] همع الهوامع: 1/ 224-225.

[3] المثل السائر، ابن الاثير: 2/ 27، وينظر: الايضاح في علوم البلاغة، القزويني: 1/ 164.

[4] الطراز، العلوي: 2/ 142.

المبحث الأول: ضمير الشأن مذكوراً

نلاحظ أنَّ ضمير الشَّأْن قد ورد في القرآن الكريم منفصلاً، ومتصلاً، ومحذوفاً وسيأتي ذكر المحذوف في المبحث الثاني اما المنفصل فقد ورد بصيغتين: إحداهما ما لم تتصل به اذا الفجائية، وقد جاء هذا الضمير بهذه الصيغة في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم هي: الكهف: 38، سبأ: 27، الإخلاص: 1.

قال تعالى: ﴿لَكِنَّ هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً﴾ [الكهف:38] ذكر الزمخشري أنَّ (هو) ضمير الشَّأْن إذ قال في تفسير الآية: ((...أي: لكن أنا لا أقليك، وهو ضمير الشأن، والشأن ربي، والجملة خبر أنا والراجع منها إليه ياء الضمير))[1].

وهذا ما ذكره الطبرسيّ أيضاً إذ قال: ((وقوله هو...ضمير الحديث والقصة...وعاد الضمير على الضمير الذي دخلت عليه لكن على المعنى ولو عاد على اللفظ لكان ((لكن هو الله ربنا)) ودخلت لكن مخففة على الضمير))[2]، ويبدو أنَّ الضمير –هنا– قد برز لما يتميز به هذا الموضع من مبالغة، وتفخيم في تلك القصة، وتعظيم شأنها وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سبأ:27].

جاء في معاني القرآن وإعرابه: ((معنى كلاَّ: ردعٌ وتنبيه، والمعنى: ارتدعوا عن هذا القول وتنبهوا عن ضلالتكم، بل هو الله الواحد الذي ليس كمثله شيء))[3].

قال الزمخشريّ: ((...فان قلت: ما معنى قوله: ((أروني)) وكان يراهم ويعرفهم؟! قلت: أراد بذلك أنْ يريهم الخطأ العظيم في الحاق الشركاء بالله، وأن يقايس على أعينهم بينه وبين أصنافهم؛ ليطلعهم على احالة القياس إليه والاشراك به...وقد نبه على تفاحش غلطهم وإن لم يقدّروا الله حق قدره بقوله ﴿هو الله العزيز الحكيم﴾ كأنه قال: أين الذين الحقتم شركاء من هذه الصفات وهو راجع إلى الله وحده أو ضمير الشأن...))[4].

وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الاخلاص:1].

جاء في المقتصد في شرح الايضاح: ((...أي: الامر الله أحد هذا أقوى الوجهين وأوضحهما))[5]؛ ذلك أنَّ ((هو ضمير الشَّأْن، والله أحد هو الشأن...كما انه قيل: الشَّأْن هذا، وهو أن الله واحد لا ثاني

---

[1] الكشاف: 2/ 122.

[2] مجمع البيان: 6/ 345.

[3] معاني القرآن واعرابه، الزجاج: 4/ 192.

[4] الكشاف: 3/ 582–583.

[5] المقتصد في شرح الايضاح: 1/ 419.

له))[1]، أو انه ((أمر من الله –عز اسمه– لنبيه (عليه السلام) ان يقول لجميع المكلفين: هو الله الذي تحق له العبادة))[2].

وقد نقل الطبرسيّ عن الامام الباقر (عليه السلام) كلاماً قال فيه: ((وقال أبو جعفر الباقر (عليه السلام)...أي: أظهر ما أوحينا اليك، وما أنبأناك به بتأليف الحروف التي قرأناها عليك ليهتدي بها من ألقى السمع وهو شهيد. وهو اسم مكنى مشار إلى غائب فالهاء تنبيه عن معنى ثابت، والواو اشارة إلى الغائب عن الحواس كما أن قولك: هذا اشارة إلى الشاهد عند الحواس؛ وذلك أنَّ الكفار نبهوا عن آلهتهم بحرف اشارة إلى الشاهد، والمدرك فقالوا: هذه آلهتنا المحسوسة بالابصار فأشر أنت –يا محمد– إلى الهك الذي تدعو إليه حتى نراه، وندركه فأنزل الله سبحانه ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾...))[3].

ولعل أهمية هذه الآية جعلت بعض اللغويين، والمفسرين يختلفون في دلالة (هو) أضمير شأن هو أم لا؟ لذا نجد الفراء لا يعد (هو) في الآية التي ذكرت آنفاً ضمير شأن إذ قال: ((وقد قال الكسائي فيه قولاً لا اراه شيئاً قال: هو عماد...ولا يكون العماد مستأنفاً به حتى يكون قبله إنَّ أو بعض أخواتها أو كان أو الظن))[4].

وقيل أيضاً أنه يجوز أن يعود الضمير على اسم الله تعالى[5]، والمعنى –هنا– يشير إلى أنْ يكون يكون ضمير شأن أرجح؛ ذلك أنَّ السياق الحالي أو قل: سبب النزول الذي أشار إليه الامام الباقر (عليه السلام) يستشف منه أنَّ فيه تعظيماً للأمر وتفخيماً إليه؛ فضلاً عن أنَّ بعض المفسرين ذكر أنَّ اليهود قالوا: يا محمد صف لنا ربَّك وانسبه! فنزلت الآية[6] فهذا يشهد أنَّ الضمير –هنا– ضمير الشأن، قال الرضيّ: ((...وهذا الضمير كأنَّه راجع في الحقيقة إلى المسؤول عنه بسؤال مقدر تقول مثلاً: هو الأمير مقبل كأنه سمع ضوضاء، وجلبة، فاستبهم الامر فسأل: ما الشأن؟ فقيل: هو الأمير مقبل، أي: الشَّأْن؛ فلما كان المعود إليه تضمن السؤال غير ظاهر قبل اكتفي في التفسير بخبر الضمير الذي يتعقبه...))[7]، يتعقبه...))[7]، والذي ينعم النظر في هذه المواضع الثلاثة يجد أنَّ هذا الضمير قد ورد منفصلاً تبعه اسم الله تعالى مما يدل على أن الموقف –هنا– هو تعظيم للامر وتفخيم له؛ ذلك أنَّ هذا الضمير إذا جيء به في الكلام فإنما يفعل ذلك لتفخيم أمر المبهم واعظامه؛ لأنه هو الذي يطرق السمع اولاً فيذهب بالسامع

---

[1] الكشاف: 4/ 817.

[2] مجمع البيان: 10/ 483.

[3] المصدر نفسه: 10/ 485–486.

[4] معاني القرآن: 3/ 299.

[5] ينظر: مجمع البيان: 10/ 483، والبحر المحيط: 8/ 529.

[6] ينظر: البحر المحيط: 8/ 529.

[7] شرح الرضيّ على الكافية: 2/ 464، وكلام الرضيّ يدل على ان العرب كانوا على إطلاع بما يعرف بتأثير عناصر الموقف الخارجي في استعمال اللغة.

كل مذهب فان الابهام يوقع السامع في حيرة وتفكر واستعظام لما قرع سمعه وتشوق إلى معرفته والاطلاع على كنهه، وتفسيره بعد ذلك تعظيم للامر وتعظيم للشأن[1].

فالمظهر إنْ كان غير اسم اشارة فالعدول إليه عن المضمر؛ انَّما هو لزيادة التمكن في المعنى[2].

اما الصيغة الثانية فقد وردت مسبوقة باذا الفجائية وهي على النحو الآتي:

1.اذا الفجائية + ضمير الشأن منفصلاً + اسم أو فعل

وقد وردت هذه الصيغة في اثنتي عشرة آية وهي: الأعراف: 107، 108، 117، النحل: 4، طه: 19، الانبياء: 18، 97، يس: 57، الشعراء: 32، 33، 40، الملك: 16.

وقد وردت هذه الصيغة سبع مرات متبوعة باسم في حين وردت بصيغتين متبوعة فيها بفعل ونذكر هنا بعضاً من الآيات:

قال تعالى: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ [الأعراف:107].

قال الطبرسيّ: ((...أي: حية عظيمة، وقيل: الثعبان الذكر من الحيات، مبين لا شبهة فيه))[3]، وقد ذكرت الآية نفسها في سورة الشعراء[4].

على حين نجد التعبير القرآني يذكر الآية الأخرى وهي: ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [الأعراف: 117] ، والمشهور أنَّ الافك هو ما صرف عن وجهه الذي يحق ان يكون فيه[5]، فمعنى ما يأفكون: ما يكذبون؛ ذلك أنَّهم جاؤوا بحبال وجعلوا فيها زئبقاً حتى تحركت[6]، ونجد الآية نفسها مذكورة في سورة الشعراء.

ولعل هذا التكرار في الآيتين الكريمتين يرجع إلى عدة أمور منها:

إنَّ الآيتين تذكران عظمة الباري –عز وجل– في إثبات قدرته في جعل العصا ثعبان ثم إنَّ القوم المشركين كانوا قد اشتهروا بالسحر، فلابد أن يأتي بشيء يوقف سحرهم –الذي كانوا يشتهرون به– وهذا ما أشارت إليه الآيتان الأخريان إذ لقفت ما كانوا يأفكون؛ زيادة على أنَّ الخالق أراد أنْ يظهر قدرته في أنَّ الحيات التي القوها لم تكن حقيقية؛ بل هي من سحرهم فجيء بإذا الفجائية متبوعة بضمير الشأن، واعقبها بكلمة الثعبان ومن ثم المبين، فضلاً عن أنَّ التعبير القرآني ذكر –في آيات أخر– الحية بدلاً من الثعبان إذ قال: ﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى)) [طه: 20]، وقد استعمل ضمير القصة في هذه الآية مما يشيد بمزية هذا الامر وعظمته؛ وذلك أنَّ العصا قلبت حية؛ لتكون دليلاً قاهراً على نبوة موسى (عليه السلام)،

---

[1] ينظر: المثل السائر: 2/ 27.

[2] ينظر: الايضاح: 1/ 66.

[3] مجمع البيان: 7/ 327.

[4] الشعراء: 32.

[5] ينظر: مفردات الفاظ القرآن، الراغب الاصفهاني: 79.

[6] تفسير القرطبي: 7/ 165–166.

ولتزيده كرامة، ثم إنه كان راعياً فقيراً فانصب للمنصب العظيم[1]، وأحسب أنّ جميع الآيات التي ورد فيها ضمير الشأن أو القصة كانت من السور المكية[2]؛ ذلك أنَّ السور المكية كانت تشير إلى اثبات قدرة الله في الخلق.

ومن نافلة القول: أن نشير إلى أن الدكتور محمد عبد الله زعم أنه اهتدى إلى تفسير وجه من وجوه استعمالات ضمير الشأن، وعدّه استعمالاً جديداً لم يذكره نحويّ من قبل إذ قال: ((ففي بعض الجمل الاسمية لجأ الاسلوب القرآني إلى تقديم الخبر على المبتدأ عناية بالخبر وتأكيد له، ولكنه رعاية للتركيب العربي قدم ضميراً أقرب إلى معنى الاشارة، والتنبيه يعود إلى المبتدأ المؤخر، وهذا يحمل معنى التأكيد في مضمون الجملة أيضاً، ومن شواهد ذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُم﴾ [البقرة: 85]، وقوله: ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ)) [البقرة: 96]، وقوله: ﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الانبياء: 97]. فالضمائر المتقدمة اشارة إلى المبتدآت المتأخرة وأنَّ جعل النحاة اياها ضمائر للشأن والقصة إفساد لتركيب الجملة العربية واخلال بالمعنى عند التحقق في الآيتين الاخيرتين))[3].

ولي على ما ذكره الدكتور محمد عبد الله الملاحظات الاتية :

1-انه اعترف نفسه أن الاسلوب القرآني قد قدم ضميراً أقرب إلى معنى الإشارة، والتنبيه يعود إلى المبتدأ المتأخر، فهذا يعني أنَّ المبتدأ المتأخر هو تفسير للضمير الذي قدم في أول الجملة، وهذا بدوره أيضاً يدل على أنَّ الضمير -هنا- ضمير الشأن هدفه التعظيم، والتفخيم، ويؤيد ذلك قول الجرجاني الذي قال فيه: ((ولو أخذت عن الضمير في كان في قولك: كان زيدٌ منطلق هو فتوقعه في آخر الكلام، وتخرجه عن اصله الذي وضع عليه، وانما وجب ان يقع ضمير الأمر في الابتداء، وما كان في حكمه لأجل أنْ يفسر بالجملة الا ترى أنك اذا قلت: هو زيدٌ منطلق كان قولك: زيد منطلق تفسيراً له ودليلاً على معناه...))[4]، وهذا الكلام ردٌ على تقديم الضمير على المبتدأ والخبر؛ فضلاً عن أنَّ التعظيم والتفخيم أدق أدق من الإشارة والتنبيه.

2-اما قوله (يحمل معنى التأكيد في معنى الجملة)، فنقول: إنَّ البلاغيين والنحاة لم يغفلوا عن هذا الرأي إذ اننا ذكرنا في اثناء البحث أنَّ بعض البلاغيين والنحويين ذكروا أنَّ من فوائد هذا الضمير التوكيد[5].

---

[1] ينظر: التفسير الكبير: 20/ 28.

[2] ينظر: الآيات: 48 من النحل، 57 من يس، إذ ذكر الباري -عز وجل- الآية نفسها التي ذكرت في النحل، وينظر ايضاً: 18 من الانبياء، 97 من السورة نفسها، 16 من الملك.

[3] الضمائر في اللغة: 146-147.

[4] المقتصد في شرح الايضاح: 1/ 1155-1156.

[5] ينظر: دلائل الاعجاز: 207، وهمع الهوامع: 1/224-225.

3-ان كلاً من الآية الأولى والثانية التي استشهد بهما ليس فيهما ضمير شأن عند جمهور البصريين[1].

4-انه اقتطع العبارة، أي: استعمل (It is me)* فحسب، ولم يذكر الكلام الذي كان قبل العبارة، فنسي أنَّ للسياق أثراً كبيراً في تحديد دلالة الجملة فإنَّ السياق- قبل هذه العبارة- ان كان دالاً على التعجب فإن العبارة تدل على التوكيد، اما ان كان السياق -الذي قبلها- دالاً على الاستفهام فإنَّ العبارة تدل على الإشارة أو قل: التعظيم البسيط الذي لا يصل إلى ذلك التعظيم أو التفخيم المراد من ضمير الشَّأن.

ب-ورد ضمير الشَّأْن متصلاً: بـ(إنَّ وأنَّ) ولكنه اختلف بحسب الصيغة التي جاء فيها إذ بلغ عدد الآيات التي ذكر فيها ضمير الشأن متصلاً في ثلاثين موضعاً هي: المائدة 32، 72، الانعام: 54، 135، 141، الأعراف: 31، 55، التوبة: 63، يونس: 17، يوسف: 23 (2)، 87، 90، النمل: 23، الحج: 4، 32، 46، المؤمنون: 109، 117، النحل: 9، القصص: 35، 82، الروم: 40، لقمان: 16، غافر: 12، الشورى: 40، محمد: 19، التغابن: 6، الجن: 4، 19.

وقد قسمناه بحسب الصيغ التي ذكر فيها في القرآن الكريم وهي:

اولاً: صيغة إنه أو أنه + مَنْ الشرطية...+ جوابها

ونجد أنَّ هذه الصيغة ذكرت في سبعة مواضع في السياق القرآني وهي: المائدة: 32، 72، الأنعام: 54، التوبة: 63، يوسف: 87، 90، الحج: 4.

ونذكر هنا بعض الآيات:

قال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرائيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً﴾ [المائدة: 32].

فالمقصود هنا -على رأي الرازيّ- أنَّ تشبيه قتل النفس الواحدة بقتل النفوس هو المبالغة في تعظيم امر القتل العمد، وتفخيم شأنه، أي: أنَّ قتل كل الخلق أمر مستعظم عند كل أحد، فكذلك يجب أنْ يكون قتل الإنسان الواحد مستعظماً مهيباً، فالمقصود -هنا- هو بيان مشاركتهما في الاستعظام فلاحظ كيف جاء الباري -عز وجل- بهذا الضمير! وكيف وضعه في الموضع المناسب!

وقال تعالى أيضاً: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرائيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ [المائدة: 72].

---

[1] ينظر: شرح الرضي: 2/ 466، والبحر المحيط: 1/ 460.

* ذكر في الصفحة نفسها أن العبارة بين القوسين تدل على ما يدل عليه ضمير الشأن في العربية ، ينظر:الضمائر في اللغة :146-147.

ذكر الزمخشريّ أنَّ النبي عيسى (عليه السلام) لم يفرق بينه، وبينهم في أنَّه عبد مربوب كمثلهم، وهو احتجاج على النصارى[1]، وهذا ما ذهب إليه أبو حيان إذ قال: ((والظاهر أنّه من كلام المسيح فهو داخل تحت القول، وفيه أعظم ردع منه عن عبادته إذ أخبر أنّه من عبد غير الله منعه الله دار من أخرجه بالعبادة، وجعل مأواه النار))[2].

فالموقف –في الآية– هو موقف تعظيم؛ ذلك أنَّ الشرك من أعظم الكبائر فناسب السياق القرآني مجيء ضمير الشأن معه الذي فسرته الجملة من بعده تلك التي دلت على أمر عظيم هو من أشد الذنوب عقاباً.

ولعل مقولة الجرجاني تشير صراحة إلى ما يفيده ضمير الشَّأْن في هذه الصيغة إذ قال: ((إنك ترى لضمير الأمر والشأن معها من الحسن واللطف مالا تراه اذا هي لم تدخل عليه؛ بل تراه لا يصلح حيث صلح الا بها، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (يوسف: 90]، وقوله: ﴿أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة: 63]))[3](*) .

ويبدو أن عبارة لا يصلح حيث صلح الا بها تصرح بأهمية هذا الضمير ولعل هذا المطلب كان قد قصده السيوطي أيضاً عندما ذكر أنَّ الجملة المفسرة لابد أن يكون مصرحاً بجزأيها إذ انه جيء به لتأكيد الجملة المفسَّرة وتفخيم مدلولها[4].

ثانياً: نجد ضمير الشَّأْن ذكر متصلاً في عدة آيات من دون ان تذكر معه أية أداة وقد بلغ عدد الآيات التي ورد فيها بهذه الصيغة أحد عشر موضعاً هي:

يوسف: 23، الحج: 32، 46، المؤمنون: 109، النمل: 9، لقمان: 16، غافر: 12، محمد: 19، التغابن: 6، الجن: 4، 19.

ونذكر بعضاً من هذه الآيات:

قال تعالى: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ﴾ (يوسف: 23].

جاء في التفسير الكبير: ((...والضمير في قوله: (إنَّه) للشَّأْن والحديث ﴿رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ))، أي: ربي، وسيدي، ومالكي أحسن مثواي حين قال لك: أكرمي مثواه، فلا يليق بالعقل أنْ أجازيه على ذلك الاحسان بهذه الخيانة القبيحة))[5].

---

[1] ينظر: الكشاف: 1/ 663.

[2] البحر المحيط: 3/ 543.

[3] دلائل الاعجاز: 299.

[*] ينظر: الآيات: 45 من الانعام، 90 من يوسف: 63 من التوبة، 4 من الحج.

[4] ينظر: همع الهوامع: 1/ 224.

[5] التفسير الكبير: 18/ 113.

في حين ذكر القرطبيّ أيضاً ان الزجاج[1]، ذهب إلى أن الضمير يعود إلى الباري؛ ذلك أنَّه تولى يوسف بلطفه فلا يركب ما حرمه[2].

وعندي أنَّ الضمير راجع إلى الله ربِّ العالمين لسببين: أحدهما إننا نستشف ذلك من الآية التي بعدها والتي قالها الباري عز وجل: ﴿إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ))، وثانيهما: ذكر –في الروايات– أنَّ زليخا حاورت النبي يوسف (عليه السلام) فقالت له: ما أحسنَ صوره وجهك! فقال لها: في الرِّحم صورني ربي[3]...فكلا السياقين المقالي والحالي يشير إلى أنَّ الضمير راجع إلى الله عز وجل.

وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج:32].

ذهب الطبرسيّ إلى أنَّ: ((فإنها، أي: فإن تعظيمها لدلالة التعظيم عليه ثم حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، فقال: ﴿فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ أضاف التقوى إلى القلوب؛ لأنَّ حقيقة التقوى القلوب، وقيل: أراد صدق النية))[4].

وذكر الباري –عز اسمه– في السورة نفسها: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج:46].

ذكر الشوكانيّ أن الفراء قال: ((الهاء عماد، ويجوز أن يقال: فإنه...والمعنى واحد التذكير على الخبر، والتأنيث على الأبصار أو القصة، أي: فإن الأبصار لا تعمى أو فإنَّ القصة لا تعمى الأبصار))[5]، أي: أنَّ الخلل في مشاعرهم؛ وانما هو في عقولهم، أي: أنَّ عقولهم لا تدرك مواطن الحق، الحق، ومواضع الاعتبار[6].

وذهب الزمخشري إلى ان الهاء –هنا– تفسر برأيين أحدهما: انه ضمير القصة، وثانيهما: أنه يجوز أن يكون ضميراً مبهماً يفسره الأبصار وفي تعمى ضمير راجع اليه[7].

ولعل السياق اللفظي يرجح ان تكون الهاء –هنا– ضمير شأن؛ لأنَّ جملة ((لا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ)) هي جملة تفسيرية لضمير الشَّأن، وقد ذكرنا في أثناء البحث أنَّ ضمير الشأن لا يرى الاّ في المواضع البليغة المختصة بالفخامة، والموقف هنا واضح، فالتعظيم ظاهر في سياق الآية، ولا ننسى أنَّ النحويين أشاروا إلى أن الهاء هنا هي ضميرالقصة، وهذا ما ذكره الأشموني حينما قال: ((...ويكون هذا الضمير مذكراً باعتبار الشأن، ومؤنثاً باعتبار القصة، والغالب في الاستعمال

---

(1) وجدت العكس في معاني القرآن واعرابه: اذ ذهب الى أن الضمير يعود الى العزيز فحسب،ينظر ،3/ 82.

(2) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: 9/ 109، وفتح القدير: 3/ 20، إذ نسب الكلام أيضاً إلى الزجاج.

(3) ينظر: الجامع لاحكام القران:9/ 109 .

(4) مجمع البيان: 7/ 150، وينظر: الجامع لأحكام القرآن: 12/ 52.

(5) فتح القدير: 3/ 570، والكلام فيه اختلاف قليل في معاني القرآن، ينظر: 2/ 228.

(6) ينظر: المصدر نفسه.

(7) ينظر: الكشاف: 3/ 162.

تذكيره؛ وإنما يؤنث اذا كان في الجملة بعده مؤنث وكان عهده سواء أكان مسنداً ام مسنداً إليه نحو: ...ومنه قوله تعالى: ﴿فإنَّها لا تَعْمَى الْأَبْصَارُ﴾...وانما يؤتى بضمير الشَّأن للدلالة على قصد المتكلم استعظام السامع حديثه))[1].

وقال تعالى في محكم كتابه: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (لقمان:16).

قال الزجاج: ((...أي: لطيف في استخراجها خبير بمكانها، ويقال: في صخرة، أي: في الصَّخرة التي تحت الأرض))[2]، وقيل: ((وقال لقمان لابنه يا بني وهذا القول من لقمان انما قصد به اعلام ابنه بقدر قدرة الله تعالى، وهذه الغاية التي أمكنه ان يفهمه؛ لأن الخردلة يقال: إنَّ الحس لا يدرك لها ثقلاً إذ لا ترجح ميزاناً، أي: لو كان للانسان رزق مثقال حبة خردل في هذه المواضع جاء بها الله حتى يسوقها إلى من هي رزقه، أي: لا تهتم للرزق حتى تستغل به عند أداء الفرائض...))[3].

ويروى أن لقمان سأل والده فقال: أرأيت الحبة تكون في مغاص البحر –أيعلمها الله– فأعلمه أنَّ الله– عز وجل– يعلم الحبة حيث كانت وفي أخفى المواضع؛ لأن الحبة في الصخرة أخفى من الماء ثم أعلمه

أنها حيث كانت يَعْلُمها بلطفه وقدرته[4].

وأحسب أنَّ الضمير في (إنها) ليس بضمير الفعلة، أي: فعلة الإنسان من خير أو شر وهذا ما ذهب إليه بعضهم[5]؛ انما هو ضمير القصة؛ ذلك أنَّ سياق المقام هو الذي يحكم في هذه الآية، كما نستطيع أن نتبينه من عدة قرائن هي: أ–تصغير اسم ابنه إذ قال (يا بني)، والتصغير –هنا– للرقة، والشفقة، لا للتحقير[6].

ب–ذكر (صخرة) بدون ال التعريف، وهذا يناسب السياق الذي وردت فيه الآية؛ فضلاً عن أنه ذكر الصخرة، ومن بعدها ذكر السموات والأرض على وجه التأكيد[7].

جـ–إنه عبر (بالخردلة) وهي –عند المفسرين– أصغر الحبوب، ولا يدرك بالحس ثقلها ولا ترجح ميزاناً[8].

---

[1] شرح الاشموني: 2/ 205، وينظر: همع الهوامع: 1/ 226.

[2] معاني القرآن واعرابه: 4/ 150.

[3] الجامع لأحكام القرآن: 14/ 45.

[4] ينظر: معاني القرآن واعرابه: 4/ 150.

[5] ينظر: اعراب القرآن: 3/ 284، ومعاني القرآن واعرابه: 4/ 150، ومجمع البيان: 8/ 86.

[6] ينظر: مجمع البيان: 8/ 86.

[7] ينظر: المصدر نفسه.

[8] ينظر: فتح القدير: 4/ 297.

هـ–إنه سبحانه زاد في بيان خفة الحبة مع خفتها، فقال تعالى: ﴿فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ﴾ فإن كانت صخرة فإنها قد صارت في أخفى مكان وأحرزه[1].

ونختم كلامنا بقول الرمانيّ الذي قال فيه: ((وليست بضمير يرجع إلى مذكور متقدم وانما هي مقدمة على شريطة التفسير لتفخيم الكلام))[2].

فيبدو –من الآيات الثلاث– أنَّ السياق فيهن كان يدل على التعظيم فجاءت مسبوقة بضمير القصة، ومن ثم وليتها الجملة المفسرة، وهذا يدل بدوره على تعظيم تلك الجملة المفسرة؛ ذلك أنَّ الشيء اذا أُضمر ثم فسر كان ذلك أفهم له وأوضح من أن يذكر من غير أنْ يتقدم من دون مضمر، ويدل على ذلك أنَّ السياق في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الْأَبْصَارُ﴾ فيه من الفخامة والروعة مالا تجده في قولك لو قلت: (فإن الأبصار لا تعمى)، وهذا يكون في كل كلام فيه ضمير قصة[3]. والكلام نفسه يقال: في الآيتين الأُخريين إذ إنك لا تستطيع أن تأتي بكلام أبلغ من قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ...)).

فضلاً عن أنك لا تستطيع أن تقول (هي تعمي الأبصار) أو تقول: ﴿هو مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ...)) بسبب وجود (إن) والحاجة اليها، فضلاً عن أنَّ الضمير لا يكاد يوجد مع الجملة من الشرط والجزاء بل تراه لا يجيئ الا بـ(إنَّ)[4].

مما تقدم يتضح لنا أمرين هما: إنَّ ضمير الشأن يفيد الربط زيادة على انه يفيد توكيد الجملة المفسرة وتفخيم مدلولها لوجود جزأيهما المصرح بهما.

والثاني: ان الضمير لو ذكر منفصلاً فإنه يكون أقوى منه لو كان متصلاً، ولهذا وجدنا الضمير المنفصل قد ذكر –في اثناء البحث– منفصلاً متبوعاً باسم الله تعالى أو انه ورد منفصلاً في تلك الأمور العظيمة التي تسترعي الانتباه ولذا جاءت مسبوقة بإذا الفجائية في حين تجده بالجمل الأخرى جاء متصلاً بإنَّ المؤكدة.

على حين نجد التعبير القرآني ذكر عدداً غير قليل من الآيات التي جاء بها الضمير متصلاً بالصيغة الآتية: إنه + لا يفعل + فاعل معرف بأل أو مفعول به معرف بأل

وقد بلغ عدد الآيات التي ورد فيها الضمير بهذه الصيغة اثنتي عشرة آية وهي: الأنعام: 135، 140، الأعراف: 31، 255، يونس: 17، يوسف: 23، النمل: 23، المؤمنون: 117، القصص: 37، 82، الروم: 40، الشورى: 40. واليك بعض الأمثلة: قال تعالى: ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام:135].

---

[1] المصدر نفسه.

[2] معاني الحروف: 145.

[3] ينظر: دلائل الاعجاز: 92.

[4] ينظر: دلائل الاعجاز: 92.

جاء في مجمع البيان عن معنى الآية: ((...، أي: لا يظفر الظالمون بمطلوبهم؛ وانما لم يقل (الكافرون) – وان كان الكلام في ذكرهم – لانه سبحانه قال في موضع آخر: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: 254]، وقال: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: 13]))[1].

وهذا ما أكده البيضاويّ، والآلوسي إذ ذكرا أن وضع الظالمين موضع الكافرين لأنه أعم، وأكثر فائدة؛ لأن الظالم اذا لم يفلح، فكيف بالكافر المتصف بأعظم أفراد الظلم[2]، فالغرض من الآية هو بيان أنَّ قوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ تهديد، وتخويف لا انه أمر، وطلب، ومعناه: أنَّ هؤلاء الكفار لا يعلمون، ولا يفوزون بمطالبهم البتة، فنلمح أنَّ التعظيم جاءنا من أمرين: اولهما: أنه سبحانه وتعالى ذكر الظالمين بدلاً من الكافرين للاهتمام والعناية. وثانيهما أنَّ الظالمين لا يفلحون ناتج من أنَّ الخسران الذي وصف به الكافرون هو أيضاً نابع من أمرين هما: إنهم افتروا على الله كذباً بأنْ قالوا: إنَّ هذه الأصنام شركاء الله أو أنَّ الملائكة بنات الله فضلاً عن أنهم نسبوا تحريم السوائب، والبحائر إلى الله، وثانيهما: إن اليهود، والنصارى كانوا يقولون: إنه حصل في التوراة والانجيل أنَّ هاتين الشريعتين لا يتطرق اليهما النسخ، والتغيير، وانهما لا يجيء بعدهما نبي[3]، وقد تكررت الآية نفسها في سورتي يوسف، والقصص ومن الامثلة على ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام:141]، وقال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف:31].

قال النحاس: ((...أي: لا يثني عليهم ولا يثيبهم))[4]، وقريب من رأي النحاس ما ذهب الطبرسيّ اذ قال: ((لا يبغضهم؛ لأنه سبحانه قد ذمهم ولو كان بمعنى لا يحبهم ولا يبغضهم لم يكن ذماً ولا مدحاً))[5]، أما أبو حيان فكان يرى أنه سبحانه وتعالى: ((نهى عن مجاوزة الحد فقال: ((ولا تسرفوا)) وهذا النهي يتضمن افراد الإسراف فيدخل فيه الإسراف في أكل الثمرة حتى لا يبقى منها شيء للزكاة، والإسراف في الصدقة حتى لا يبقى لنفسه، ولا لعياله شيئاً))[6].

على حين نجد صاحب تفسير الميزان يذكر أن الآية –هنا– تنفي التعدي إلى أمر جانبي كالإفراط، والتفريط، وماله من تهديد المجتمع الإنساني بالانحطاط وفساد طريق السعادة[7]. ويبدو أنَّ

---

(1) مجمع البيان: 4/ 168.

(2) ينظر: تفسير البيضاوي: 2/ 53، وروح المعاني: 8/ 31.

(3) ينظر: التفسير الكبير: 2/ 181.

(4) إعراب القرآن: 2/ 101.

(5) مجمع البيان: 4/ 168.

(6) البحر المحيط: 4/ 240.

(7) ينظر: تفسير الميزان: 8/ 82.

الإسراف في الآيتين الكريمتين ليس مختصاً بجانب واحد من الإسراف؛ بل هو شامل؛ ولذلك نفاه الباري –عز وجل– واستعمل قبله ضمير الشأن لتعظيم ذلك الأمر، ومن الملاحظ على أغلب الآيات القرآنية – التي ذكرت بهذه الصيغة– كانت قد ذكرت الصفات الشائعة في المجتمع تلك التي حذر الخالق –عز اسمه– من اتباعها والتي يكون فساد المجتمع منها فانك تجد التعبير القرآني يذكر: الظالمين، والمسرفين أو المعتدين، أو المجرمين، أو المستكبرين، فالمشهور عن هذه الصفات انها مكروهة أو غير مقبولة في المجتمع، فذكرها –سبحانه وتعالى– وكرر بعضاً منها مستعملاً قبلها ضمير الشأن لتعظيم تلك الجملة المفسرة من بعده التي ذكرت هذه الصفات؛ ليدل على ما تؤديه هذه الصفات من مفاسد مادية ومعنوية؛ فضلاً عن أنَّ هذه الصفات كانت معرفة (بأل)؛ ذلك ان لهذا التعريف غرضاً مفاده انه ((انما صار معرفة لأنك أردت بالالف واللام الشيء بعينه دون سائر امته لانك اذا قلت انما مررت برجل فإنك انما زعمت إنك مررت بواحد ممن يقع عليه هذا الاسم لا تريد رجلاً بعينه يعرفه المخاطب واذا أدخلت الألف واللام فإنما تذكره رجلاً قد عرفه، فتقول: الرجل الذي من أمره كذا وكذا ليتوهم الذي كان عهده بما تذكره من أمره))[1].

على حين أنك تجد التعبير القرآني لم يذكر هذه الصيغة في عدة تعابير كقوله تعالى: ﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ [يونس:77] فالسياق ذكر صيغة ﴿لا يفلح الساحرون﴾ ولم يذكر انه لا يفلح السَّاحرون ويعني هذا أن كيد السَّاحر –وان كان قوياً– فانه لا يفلح فلم يذكر ضمير الشَّأن لتعظيم هذا الامر وتفخيمه، والمبالغة فيه أو قل: المبالغة في الامر وزيادة الاهتمام به؛ ذلك أنَّ الموقف –هنا– لا يحتاج إلى ذلك التعظيم فان قدرة الله أعلى وأعظم من قدرة الساحر، ولهذا ذكر في آية أخرى قوله تعالى: ﴿وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [طه: 69] إذ يدل –والله اعلم– على أنَّ الساحر لا يحصل له مقصود بالسحر خيراً كان أو شراً، وذلك يقتضي نفي السحر بالكلية[2]، وقال تعالى ايضاً: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [الرعد: 31] فلم يستعمل صيغة (انه لا يخلف الميعاد)؛ ذلك أنَّ السياق لا يحتاج إلى ذكر ضمير الشأن هنا؛ بل إنَّ القصة تشير إلى أنه –جل وعز– لا يخلف الميعاد، وهذا لا يحتاج إلى زيادة في الاهتمام، والعناية –والله اعلم– وحري بالذكر أنَّ السياق القرآني في الآيات التي ذكر فيها ضمير الشأن لم يقل: ان الكافرين لا يفلحون أو إنَّ الظالمين لا يفلحون أو أنَّ المستكبرين لا يحبون بل جاء بـ(إنَّ) متبوعة بضمير الشأن؛ لأنه يفيد –من القوة– في نفي الفلاح عن الكافرين أو الظالمين، أو في نفي الحب عن المستكبرين؛ ذلك أن الشيء اذا أعلم غفلة وبغتة ليس فيه فائدة مثل أن تعلم عن شيء بعد التنبيه عليه والتقدمة له؛ لأنَّ ذلك يجري مجرى تكرير الاعلام والاحكام[3].

---

[1] كتاب سيبويه: 3/2.

[2] ينظر: التفسير الكبير: 20/ 85.

[3] ينظر: دلائل الاعجاز: 92.

قال الجرجاني: ((...فقوله ﴿وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [القصص: 82]. يفيد من القوة في نفي الفلاح عن الكافرين ما لو قيل: ((إن الكافرين لا يفلحون)) لم يستفد من ذلك ولم يكن ذلك كذلك؛ لانك تعلمه اياه من بعد تقدمه وتنبيه انت به في حكم من بدأ أو اعاد ووطد ثم بنى، ولوح، وصرح، ولا يخفى مكان المزية فيما طريقه هذا الطريق))[1]. زيادة على اننا نجد أنّ ضمير الشَّأن والقصة –في هذه الصيغة– فيه من حسن الموقع وجودة النظم، ورشاقة التأليف مالا يمكن وصفه[2] كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: 117].

[1] المصدر نفسه.

[2] ينظر: الطراز: 2/ 220.

المبحث الثاني: ضمير الشأن محذوفاً

يحذف ضمير الشَّأن مع إنْ المخففة المكسورة الهمزة، وأنْ المخففة المفتوحة الهمزة وسيأتي بيانها.

أ-ضمير الشَّأن محذوفاً مع (إنْ) المكسورة الهمزة:

تخفف (إنْ) ويكثر – في لسان العرب– إهمالها فتقول: إنْ زيدٌ لمنطلق، واذا ما اهملت لزمتها اللام فارقة بينها وبين (إنْ) النافية، فنقول: إنْ زيدٌ لقائمٌ؛ لأنك لو قلت: إنْ زيدٌ لقائمٌ لاحتمل ان تريد: ما زيدٌ قائمٌ، ولا تدخل الملغاة الا على المبتدأ والخبر، أو ما أصله المبتدأ والخبر[1]، والتعبير القرآني يقرّ ذلك؛ بذلك أنَّ (إنْ) ذكرت في القرآن الكريم، ولم تدخل الاّ على النواسخ– وسيأتي بيانه– خلافاً لما يراه الكوفيون من أنها تدخل على غير الناسخ[2] ذلك انه إن جاء بعدها فعل وجب الاهمال ولا يدعى الاعمال، وان اسمها ضميرِ شأن والجملة الفعلية خبرها[3] فكانت الصيغة على النحو الآتي: إنْ + الفعل الناسخ + اللام الفارقة + الخبر

وقد ذكرت هذه الصيغة ست عشرة مرة في القرآن وهي كالآتي:

البقرة: 143، 198، 253، آل عمران: 64، الأعراف: 102، يونس: 29، يوسف: 91، الاسراء: 73، 76، 108، الفرقان: 42، الشعراء: 186، القصص: 10، الصافات: 167، القلم: 51، ست صيغ منها ذكرت فيها (إنْ) المخففة متبوعة بالفعل كان، في حين ذكرت خمس صيغ متبوعة بالفعل كاد، ونذكر هنا بعض هذه الصيغ القرآنية:

قال تعالى: ﴿...وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ [البقرة: 143].

قال النَّحاس: ((الفراء يذهب إلى أنَّ (إنْ) واللام بمعنى ما والا، والبصريون يقولون: هي إنَّ الثقيلة خففت فصلح الفعل بعدها ولزمتها اللام لئلا تشبه (إن) التي بمعنى ما، قال الاخفش: وإن كانت القبلة لكبيرة))[4]، وذكر صاحب المقتصد : أن المعنى وإنها كانت لكبيرة[5] ، وكان العكبري يرى أن(إن) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف[6]

وجاء في معاني القرآن واعرابه: ((يعني قبلة بيت المقدس، أي: إن كان اتباعها لكبيرة والمعنى انه كبير على غير المخلصين، فأما من أخلص فليست بكبيرة عليه كما قال: ((إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ))،

---

[1] ينظر: شرح جمل الزجاجي: 1/ 438–439، وشرح ابن عقيل: 1/ 378.

[2] ينظر: المصدر نفسه.

[3] ينظر : حاشية الصبان على شرح الاشموني : 288/1 .

[4] إعراب القرآن: 1/ 269.

[5] ينظر : المقتصد في شرح الايضاح 1/ 490 .

[6] ينظر : التبيان في اعراب القران : 124/1 .

أي: فليست بكبيرة عليهم وهذه اللام دخلت على (إنْ) لان اللام اذا لم تدخل مع إن الخفيفة كان الكلام جحداً فلولا اللام، كان المعنى: ما كانت كبيرة فاذا جاءت إن واللام فمعناها التوكيد للقصة...))[1]*.

وذهب العكبريّ إلى أنَّ اللام –هنا– عوض من المحذوف،أي:الضمير، وأنَّ قول الكوفيين ضعيف جداً من قبل أنَّ وقوع اللام بمعنى (الا) لا يشهد له سماعٌ ولا قياس[2].

في حين ذهب الجرجاني الى أنها الام التي كانت في حال التثقيل جاء في المقتصد : ((واعلم أنَّ هذه اللام ليست حرفاً متجرداً للفرق بين النافية والمثبتة بل هي لام الابتداء التي كانت في حال التثقيل نحو: إنَّ زيداً لمنطلقٌ غير ان التخفيف لما افضى بأن صارت كالنافية لفظاً جعل اللام التي صحبتها في حال التثقيل لازمة لها فصار لزومها فرقاً بين الحرفين فأما ان تكون حرفاً أتى للفصل فلا))[3].

وقال تعالى أيضاً: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذاً لا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلاً﴾ [الاسراء:76].

ذكر الزمخشري أنَّ: ((...إن مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والمعنى أن الشَّأن قاربوا ان يفتنوك، أي (يخدعوك فاتنين))[4] أو أنَّ المشركين –الذين تقدم ذكرهم– في هذه السورة هموا وقاربوا أنْ يزلوك ويصرفوك عن القرآن الذي اوحينا اليك[5].

وقد قيل في تفسيرها كلام كثير إذ إنَّ المفسرين كانوا يرون أن الضميرفي ((وإن كادوا)) يعود لقريش، وقيل: لثقيف، وقيل: لليهود[6] قال أبو حيان: ((ومناسبة هذه الآية لما قبلها انه تعالى لما عدد نعمه على بني آدم...اتبع ذلك بما يهم به الاشقياء في الدنيا من المكر والخداع، والتلبيس على سيد أهل السعادة المقطوع له بالعصمة، ومعنى ليفتنوك: ليخدعونك وذلك في ظنهم لانهم قاربوا ذلك إذ هو معصوم (عليه السلام) ان يقاربوا فتنته عما اوحى الله اليه، وتلك المقاربة في زعمهم سببها رجاؤهم أنْ يفتري على الله غير ما أوحي إليه من تبديل الوعد وعيداً أو الوعيد وعداً...))[7].

---

[1] معاني القرآن واعرابه: 1/ 193.

* قال الزمخشري : عن الاية ((وإن وجدنا اكثرهم لفاسقين)) [الاعراف /102] (وان الشأن والحديث وجدنا اكثرهم فاسقين...) الكشاف : 136/2 .

[2] ينظر: التبيان في إعراب القرآن: 1/ 124.

[3] المقتصد في شرح الايضاح: 1/ 489–490، ولمعرفة الخلاف في هذه اللام ينظر: ارتشاف الضرب، لأبي حيان: 2/ 149.

[4] الكشاف: 2/ 684.

[5] ينظر: مجمع البيان: 6/ 278.

[6] ينظر: البحر المحيط: 6/ 61، والجامع لأحكام القرآن: 10/ 195.

[7] البحر المحيط: 6/ 61.

فالملاحظ على السياق القرآني أنَّ كاد تكررت فيه مع ان المخففة من الثقيلة ولا يخفى علينا ما تفيده (إن) من التوكيد، وما يعطيه حذف الضمير من دلالة على التعظيم ذلك أن الشيء اذا أضمر ثم فسِّر كان ذلك أفخم له من أنْ يذكر من غير تقدمه إضمار[1]، فضلاً عن ان التعبير القرآني استعمل كاد التي تدل على التقريب من الحال[2].

أو قل: انه قريب منه الحصول[3]؛ زيادة على دخول اللام التي تفيد توكيد النسبة، وتخليص المضارع للحال[4]، أو قل: إنَّ مجيء كاد مع ان المخففة تفيد قطع كل شك في نفي الخبر[5](*) .

ومن نافلة القول: أنْ نشير إلى ان الدكتور فاضل السامرائي عقد فصلاً عن تخفيف (إنْ) مفاده: إنَّ (إنْ) المخففة تختلف عن الثقيلة من حيث الاستعمال فهي تدخل على الجملة الفعلية، والاسمية إذ يراد بها توكيد الحدث الفعلي ثم إنَّ المخففة تمكننا من ايقاع الجملة الفعلية في حيز التوكيد فان كنت ترمي إلى توكيد الحدث الفعلي جئت بـ(إنْ) المخففة ولكنها من حيث التوكيد تكون أقل توكيداً من الثقيلة ويدل على ذلك أمور منها: تخفيف نونها الذي يشير إلى تخفيف توكيدها ثم ان الاستعمال القرآني يحكم ذلك[6]، ولنا على هذا الكلام عدة ملاحظات منها:

أولها: إنَّ قوله: انها تدخل على الجملة الاسمية، والفعلية هي مقولة نجدها مذكورة عند النحويين كالجرجانيّ الذي ذكر: ((ان تكون مخففة من الثقيلة، ويقع بعدها الاسم والفعل...))[7].

---

[1] ينظر: دلائل الاعجاز: 92.

[2] ينظر: المقتصد في شرح الايضاح: 2/ 1047.

[3] ينظر: شرح الرضيّ: 4/ 213.

[4] ينظر: مغني اللبيب: 1/ 305.

[5] ينظر: اساليب النفي في القرآن: 131.

[*] أشار الدكتور إبراهيم السامرائي إلى أنَّ النحويين لم يأتوا بشاهد يصح الاعتماد عليه في مسألتي الأعمال والاهمال، والبيت الواحد لا يكفي في اثبات قاعدة مهمة كهذه، وذكر أنَّ تخفيف (إنْ) لم يعد له وجود في عربيتنا المعاصرة، ينظر: النحو العربي نقد وبناء: 87، أقول: إنَّ الذنب ليس على العرب أو علماء النحو في أنَّ تخفيف (إنْ) لم يعد له وجود؛ بل هو عائد إلى مثقفي عصرنا الحالي، فكان اجدر بهم ان يضعوا مثل هذه الصيغ في كتاباتهم؛ ذلك أنَّ لغتنا تزخر بالاساليب، والصيغ المتعددة المعنى، اما القرآن الكريم، فقد ضمَّ عدة آيات جاءت فيها (إنْ) المخففة من الثقيلة وهذا خير دليل على صحة الاعتماد عليه في مسألة الاهمال، فضلاً عن أنَّ النحويين قد ذكروا بعض القراءات التي قرأ بها بعض القراء والتي جاز فيها الأعمال، والاهمال من مثل: قراءة الحرميين وأبي بكر: ﴿وَإِنَّ كُلّاً لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ﴾ (هود: 111) و﴿ان كلٌ نفس لما عليها حافظ)) [الطارق:4] بتخفيف لما في القراءتين، ينظر المصادر الاتية: شرح جمل الزجاجي: 1/ 438، وشرح الرضي: 4/ 365، ومغني اللبيب: 1/ 36-37، وشرح قطر الندى: 412.

[6] ينظر: معاني النحو: 1/ 374-375.

[7] المقتصد في شرح الايضاح: 1/ 490.

وثانيهما: إنَّ قوله: إنَّ المخففة تمكننا من ايقاع الجملة الفعلية في حيز التوكيد وجدناها ايضا عند ابن هشام الذي ذكر أنَّ دخول اللام يفيد توكيد النسبة، وأنها تخلص المضارع للحال[1].

ب–ضمير الشَّأن محذوفاً مع (أن) المفتوحة:

ورد الضمير محذوفاً بصيغتين اولاهما: ما لم يحتج إلى فاصل، والثانية: ما احتاج إلى فاصل، وسيكون كلامنا عن الصيغة الأولى.

قال ابن هشام: ((أما (أنْ) المفتوحة اذا خففت بقيت على ما كانت عليه من وجوب الأعمال لكن يجب في اسمها ثلاثة أمور: أنْ يكون ضميراً لا ظاهراً وأنْ يكون بمعنى الشأن، وأن يكون محذوفاً، ويجب في خبرها أن يكون جملة لا مفرداً فان كانت الجملة اسمية أو فعلية فعلها جامد أو فعلية فعلها متصرف وهو دعاء لم يحتج إلى فاصل يفصلها من أن))[2]؛ وذلك لشبههما بالاسماء فكأنها لم يأت بعدها الاّ الاسم[3].

وقد ذكرت في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع هي: الأعراف: 185، يونس: 10، النجم: 39.

وسنذكر هنا موضعين:

قال تعالى: ﴿وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ [الأعراف: 185].

جاء في الكشاف: ((...أنْ مخففة من الثقيلة، والأصل: وأنه عسى على ان الضمير ضمير الشأن، والمعنى: أو لم ينظروا في أنَّ الشأن والحديث عسى ((أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ))، ولعلهم يموتون، فسارعوا إلى النظر وطلب الحق وما ينجيهم قبل مغامضة الأجل، وحلول العقاب...))[4].

وذهب العكبريّ، والبيضاويّ إلى أنَّ (أنْ) هنا تحتمل وجهين أحدهما: أنْ تكون مخففة من الثقيلة، وثانيهما: أنْ تكون مصدرية[5].

ولا أرى وجهاً لذكر المصدرية هنا إذ إنَّ النحاة قرروا أنَّ (أنْ) إنْ كان خبرها جملة فعلية، وكان فعلها فعلاً جامداً فهي مخففة من الثقيلة[6].

قال تعالى: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس:10].

قال سيبويه: ((واما قوله عزَّ وجل(وأخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) وآخر قولهم أنْ لا اله الا الله فعلى قوله: أنه لا اله الا الله، وعلى انه الحمد لله...))[7].

---

(1) ينظر: مغني اللبيب: 1/ 305.

(2) شرح قطر الندى: 213.

(3) ينظر: شرح جمل الزجاجي:437/1.

(4) الكشاف: 2/ 182.

(5) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: 1/ 605، وينظر: تفسير البيضاوي: 2/ 127.

(6) ينظر: شرح قطر الندى: 282.

(7) كتاب سيبويه: 3/ 187.

وذكر الطبرسيّ ان المراد ليس أنْ يكون آخر كلامهم حتى لا يتكلموا بعد بشيء بل المراد أنهم يجعلون هذا آخر كلامهم في كل ما ذكروه[1].

وذهب القرطبيّ إلى انه قيل: إنَّ أهل الجنة اذا مرَّ بهم الطير، واشتهوه قالوا: سبحانك فيأتيهم الملك بما اشتهوا فاذا اكلوا حمدوا الله، فسؤالهم بلفظ التسبيح، والختم بلفظ الحمد[2].

فنلاحظ أنَّ التعبير القرآني ذكر ﴿آخر دعواهم﴾ تعبيراً عن حالهم، ثم ذكر أنْ المخففة من الثقيلة؛ وهذا مما يدعو الى الدهشة والحيرة ، ومن ثم ذكر الجملة بعده التي تزيل هذه الحيرة ، ولا يخفى على القارئ ما يفيده حذف الضمير –هنا– من تفخيم الامر، وتعظيمه، والتنويه بذكره في الجملة المفسرة بعده، ومن الجدير بالذكر أنْ نشير إلى أنَّ هناك عدة آيات ذكرها اللغويون، والمفسرون في أنْ المخففة، على أنه يجوز فيها أنْ تكون مخففة من الثقيلة في حين عددناها –هنا– تفسيرية وهي[*] كالآتي:–

الأعراف: 43، 44، 46، 50، 108، النمل: 7، 45، القصص: 30، الصافات: 103–104.

ونذكر هنا عدداً من الامثلة:

قال تعالى: ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 43].

جاء في إعراب القرآن: ((...أن في موضع نصب مخففة من الثقيلة، وقد يكون تفسيراً لما نودوا به فلا يكون لها موضع))[3].

وذكر الزمخشريّ أنَّ ((أنْ مخففة من الثقيلة...أو تكون بمعنى أي؛ لأنَّ المناداة من القول: كأنه قيل لهم: وقيل لهم، أي: تلكم الجنة اورثتموها))[4].

ونجد الكلام نفسه عند الرازيّ، والقرطبيّ، وأبي حيان[5] على حين نجد ابن هشام يذكر أنها تفسيرية تارة أخرى إذ قال: ((أن تكون مفسرة بمنزلة أي: نحو...﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ﴾...وفي الثانية – يريد الآية– المخففة من الثقيلة لدخولها على الاسمية))[6].

والراجح أنْ تكون (أنْ) –هنا– تفسيرية؛ ذلك أنَّ النحويين عقدوا مبحثاً ذكروا فيه شروطا ل (أنْ) التفسيرية فذكروا منها: أنْ يتقدم عليها جملة وأن تكون تلك الجملة في معنى القول[7]، فالسياق اللفظي يشير صراحة إلى ان الجملة المتقدمة على (أنْ) هي في معنى القول: أعني نودوا فضلاً عن أنَّ قوله:

---

[1] ينظر: مجمع البيان: 5/ 158.

[2] ينظر: الجامع لاحكام القرآن: 8/ 200.

[*] ذكرنا هذه الآيات على سبيل الحصر.

[3] إعراب القرآن: 2/ 126.

[4] الكشاف: 2/ 106.

[5] ينظر: التفسير الكبير: 14/ 80، والجامع لاحكام القرآن: 7/ 134، والبحر المحيط: 4/ 304.

[6] مغني اللبيب: 1/ 47.

[7] ينظر: شرح شذور الذهب: 293.

﴿تِلْكُمُ الْجَنَّةُ﴾ هي تفسير للنداء، ويبدو أنَّ وقوع (أنْ) بعد جملة اسمية، ومن ثم وقوعها في موضع التعظيم هو الذي حدا ببعض النحويين، واللغويين، والمفسرين ان يجوزوا ان تكون مخففة من الثقيلة.

ومثله قوله تعالى: ﴿...فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: 44].

فقد ذكرت الكتب المتخصصة في إعراب القرآن أنّ أنْ هنا فيها (وجهان) هما: أنْ تكون مخففة من الثقيلة، أو أنْ تكون بمعنى أي[1]، وهذا ما ذكره الرازيّ أيضاً إذ قال: ((...ويجوز أن تكون المخففة هي التي للتفسير كأنها تفسير لما نودوا به))[2]. ويبدو من السياق اللفظي أنَّ (أنْ) هنا هي تفسيرية؛ ذلك أنَّ لفظة أذن فيها معنى القول، وأنَّ جملة ﴿لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ)) هي تفسير لمعنى القول، فالنص القرآني الذي يبدأ من الآية الثالثة والاربعين، وحتى الآية السادسة والأربعين هو سياق تحاور بين المؤمنين، والكافرين، فالتحاور يحتاج –والله اعلم– إلى القول، والمناداة فيما بينهم؛ ذلك أنَّ مكان أهل الجنة يختلف عن مكان أهل النار (اعاذنا الله من شرها) فيحتاج الموقف إلى استعمال الفاظ: نودوا، نودي، أذّن، وهذه الالفاظ تحتاج إلى تفسير النداء أو الآذان، وهذا كله قد ذكر في سورة واحدة وهي الأعراف تلك السورة التي اخذت على الإنسان ان يتمسك بالعهد الالهي وهو ان يعبد الله ولا يشرك به شيئاً؛ غير أنَّ أكثرهم نقضوا هذا العهد فمنهم من آمن بهذا العهد؛ على حين نفر أكثرهم من هذا فعرضت هذه السورة ذلك الحوار الذي حصل بين الفئتين والله اعلم؛ فضلاً عن أنَّ هذه السورة كان الموقف فيها موقف تفصيل، وتبسيط فجيء بأن المفسرة، فذكر معها القول أو ما هو في معناه؛ ويبدو أنَّ ذكر النداء في هذه السورة يشير إلى تعظيم ذلك الموقف، ذلك أنَّ ثمة فرقاً بين قولك: أشرت إليه أنْ اذهب فهذا القول يدل على أنك أشرت إليه بالذهاب بأي لفظ أو دلالة تدل على هذا المعنى؛ في حين إنك لو قلت أشرت إليه اذهب فمعناه أنك قلت له هذا القول نصاً من غير أي وساطة[3]. أما في الآية الثانية فيبدو أن أن الموقف لا يدل على التعظيم انما ذكرت ان –هنا– والله اعلم للتفصيل والتبسيط في القول وأحسب أنَّ بعض اللغويين، والمفسرين انما جعلوا (أنْ) هنا تحتمل وجهين لما تميز به هذا الموقف في النص القرآني من تعظيم، وتفصيل، ولما فيه من مواجهة بين المؤمنين والكافرين جعلهم ينظرون إلى السياق القرآني ويحتملون في (أنْ) وجهين.

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل:8].

---

[1] ينظر: إعراب القرآن: 2/ 127، والتبيان في إعراب القرآن: 1/ 569.

[2] التفسير الكبير: 14/ 85، وينظر: البحر المحيط: 2/ 303.

[3] ينظر: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل: 70.

جاء في معاني القرآن للاخفش: ((قال: ﴿نُودِيَ أَنْ بُورِكَ﴾، أي: نودي بذلك))[1]. فهي عنده مفسرة، وذكر الزمخشريّ: ((أنْ هي المفسرة لأن النداء فيه معنى القول، والمعنى قيل له: بورك فان قلت: هل يجوز أن تكون المخففة من الثقيلة، وتقديره: نودي بأنه بورك، والضمير ضمير الشأن؟ قلت: لا لأنه لابد من (قد) فان قلت: فعلى إضمارها؟ قلت: لا يصح لأنها علامة لا تحذف))[2].

في حين نجد أبا حيان يجوز أن تكون (أنْ) هي المخففة من الثقيلة إذ قال: ((ويجوز أن تكون المخففة من الثقيلة، وبورك فعل دعاء كما تقول: بارك الله فيك، واذا كان دعاءً لم يجز دخول قد عليه فيكون كقوله تعالى: ﴿وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا)) [النور: 9] في قراءة من جعله فعلاً ماضياً...وكأن الزمخشري بنى ذلك على أنْ (بورك) خبر لا دعاء فلذلك لم يجز ان تكون مخففة من الثقيلة...))[3].

وكان العكبريّ يرى أنَّ في (أنْ) ثلاثة أوجه هي:

أولها: هي بمعنى أي؛ لأن النداء في معنى القول.

والثاني: أنْ تكون مصدرية، والفعل صلة لها، والتقدير: لبركة مَنْ في النار، أو ببركة، أي: أعلم بذلك.

والثالث: هي مخففة من الثقيلة، وجاز ذلك من غير عوض؛ لأنَّ بورك دعاء، والدعاء يخالف غيره في أحكام كثيرة[4].

اما النحويون، فلم يذكروا الآية القرآنية مثالاً لفعل الدعاء عدا ابن هشام الذي ذكرها في أحد كتبه، على حين لم يذكرها في الكتب الأخرى، فهذا سيبويه يقول: ((...ومن ذلك ((وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَيْهَا)) فكأنه قال: أنه غضبُ الله عليها...))[5].

اما ابن هشام فقد ذكر الآية في شرح شذور الذهب مثالاً لفعل الدعاء اذ قال ((وان كنت فعلية وجب كونها دعائية سواء كان دعاء بخير نحو: ((أن بورك من في النار)) أو بشر نحو: ((وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضبَ اللَّهِ عَلَيْهَا)) فيمن قرأ من القراء السبعة))[6].

ولم يذكر سوى الآية الثانية في كتابه قطر الندى[1]، وقد صرح في مغني اللبيب أنها يجوز أنْ تكون تفسيرية[2].

---

[1] معاني القرآن: 2/ 147.

[2] الكشاف: 3/ 349.

[3] البحر المحيط: 7/ 53.

[4] ينظر: التبيان في إعراب القرآن: 2/ 1004.

[5] كتاب سيبويه: 3/ 187، وينظر: همع الهوامع: 1/ 455، ولم يذكر السيوطي سوى القراءة بجعل الفعل ماضياً، أي غضبَ.

[6] شرح شذور الذهب: 282.

لذا نلاحظ الاختلاف بين اللغويين، والنحويين، والمفسرين في هذه الآية، ولو حكموا السياق اللفظي لما احتاجوا إلى هذا التأويل، والاختلاف؛ ذلك أنَّ السياق يشير إلى أنَّ النداء هو في معنى القول، وأنَّ جملة ((بورك من في النار)) هي تفسير للنداء والله اعلم.

ولعل التعظيم الذي ورد في الآية هو الذي جعل بعض اللغويين، والنحويين، والمفسرين يجوز أنْ تكون (أنْ) هنا مخففة من الثقيلة؛ ذلك ان المقام في سورة النمل مقام تعظيم لله سبحانه وتكريم لموسى (عليه السلام)، والدليل على ذلك هو تشرف النبي موسى (عليه السلام) بالنداء ولا يخفى ما في النداء من تعظيم؛ فضلاً عن أنَّ ثقل التكليف الذي كلف به النبي موسى (عليه السلام) يستدعي من السياق القرآني –والله اعلم– أنْ يستعمل هذا النداء.

اما الصيغة الأخرى –التي ذكر معها الفاصل– فقد ذكر النحويون أنَّ الفاصل يكون بعدة حروف هي: حرفا التنفيس، قد، لا، لم، لن[3]، فضلا عن لو، قال ابن عقيل: ((وقَلَّ من ذكر كونها فاصلة من النحويين))[4]، وزاد بعضهم اذا الشرطية وعدها من الفواصل، كالزمخشريّ في الكشاف[5]، والعكبري في التبيان في إعراب القرآن[6]، وابن مالك في التسهيل[7]، والرضيّ في شرحه على الكافية[8]، وأبي حيان الاندلسي في ارتشاف الضرب، والبحر المحيط[9] وابن هشام في شرح شذور الذهب[10]، والسيوطي في همع الهوامع[11].

ونلمح من كلام النحويين أنَّ الفاصل جيء به عوضاً من التخفيف الذي حصل في أن وزوال الاختصاص قال سيبويه: ((واعلم أنه ضعيف في الكلام أنّ تقول: (قد علمت أنْ تفعل ذاك) ولا (قد

---

(1) ينظر: شرح قطر الندى: 214.

(2) ينظر: مغني اللبيب: 2/ 763، ولعل للسياق دوراً بارزاً في تأويله هذه الآية برأيين.

(3) ينظر: المقتصد: 1/ 484–485.

(4) شرح ابن عقيل: 1/ 388، وينظر : شرح شذور الذهب: 283.

(5) ينظر: الكشاف: 1/ 578.

(6) ينظر: التبيان: 1/ 198.

(7) ينظر: 65.

(8) ينظر: 4/ 67.

(9) ينظر: ارتشاف الضرب: 2/ 153، والبحر المحيط: 3/ 389.

(10) ينظر: 283، وتجدر الإشارة إلى أنَّ محمد محيي الدين عبد الحميد ذكر ان ابن مالك: ((زاد اذا...في التسهيل من الفواصل التي تفصل بين ان المفتوحة المخففة الشرط وقد مثل لذلك المراد بقوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ... ﴾[النساء: 140] لكن الذي يتقدح في الذهن أنَّ (أنْ) في هذه الآية الكريمة تفسيرية)) شرح قطر الندى: 215 هامش (1) في حين فات المحقق أنَّ ابن هشام ذكر المطلب نفسه في شرح شذور الذهب على الرغم من انه هو الذي حققه، فضلاً عن أن ابن مالك لم يذكر الآية التي ذكرها المحقق.

(11) ينظر: 11/ 455.

علمت أنْ فَعَلَ ذاك) حتى تقول: سيفعل، أو قد فَعَلَ، وتنفي فتدخل لا؛ ذلك أنهم جعلوا ذلك عوضاً مما حذفوا من (أنَّه) فكرهوا أنْ يَدعوا السين أو قَدْ إذ قدروا على ان يكون عوضاً...))[1].

وجاء في الأصول: ((واعلم أنه قبيح أنْ يلي (أنْ) المخففة الفعل اذا حذفت الهاء وأنت تريدها؛ كأنهم كرهوا أنْ يجمعوا على الحرف الحذف، وأن يليه ما لم يكن يليه وهو مثقل قبيح ان تقول: قد عرفت أنْ يقوم زيد حتى تفصل بين أنْ والفعل بشيء عوضاً من الاسم...تقول: قد عرفت أنْ لا يقوم زيد، وأنْ سيقوم زيد...))[2].

وذهب ابن عصفور إلى أنَّ ((...الذي يدل على أنها معملة أن الموجب لعملها وهو الاختصاص موجود؛ الا ترى أنَّه لا يليها فعل، وان وليها فالاسم يضمر نحو: تحققت أنْ سيقوم زيد التقدير: أنَّه سيقوم زيد، أي: أنَّ الأمر سيقوم زيدٌ إذ لو كانت من الحروف التي يجوز فيها أنْ يليها الفعل لم يلتزموا الفصل بينها وبين الفعل بالسين...ولا يجوز أنْ يليها الفعل من غير فاصل...))[3].

وخلاصة القول: إنَّ الفاصل جاء لأمرين هما: زوال الاختصاص، والتخفيف وقد ورد ضمير الشأن مفصولاً بفاصل في اربع وثلاثين آية وهي كالآتي:

النساء: 73، 140، المائدة: 71، 113، الأعراف: 44، 92، التوبة: 29، يونس: 12، 24، 45، هود: 14، 68، الرعد: 31، الكهف: 48، الانبياء: 87 (2)، الحج: 15، لقمان: 7، سبأ: 14، محمد: 29، الفتح: 12، النجم: 38، التغابن: 7، الجن: 5، 7، 12، 26، 28، المزمل: 20 (2)، القيامة: 3، الانشقاق: 14، البلد: 5، 7، وسنذكر بعضاً من هذه الآيات:

قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ﴾ [النساء: 140].

قال الزمخشري: ((...هي أنْ المخففة من الثقيلة، والمعنى أنه اذا سمعتم، أي: نزل عليكم أنَّ الشَّأن كذا والشأن ما أفادته الجملة بشرطها وجزائها))[4] وهذا ما ذكره أبو حيان أيضاً إذ ذكر أنَّ (أنْ) هي المخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن محذوف وتقديره: ذلك أنَّه اذا سمعتم، وأن الجملة المفسرة لضمير الشأن هي الجملة من اذا وجوابها[5]، ويبدو من السياق أنَّ (أنْ) –هنا– هي مخففة من الثقيلة؛ ذلك أن الآية تشير إلى تعظيم ذلك الأمر، أي: الكفر، والاستهزاء بآيات الله؛ فضلاً عن أن الجملة المفسرة التي بعده قد صرح بجزأيها– وان كان الضمير محذوفاً– لتأكيدها وتفخيم مدلولها ذلك أنَّ

---

[1] كتاب سيبويه: 3/ 190.

[2] الاصول: ابن السراج: 1/ 239–240.

[3] شرح جمل الزجاجي: 1/ 437.

[4] الكشاف: 1/ 578، وينظر: التبيان: 1/ 189.

[5] ينظر: البحر المحيط: 3/ 389.

((السامع متى لم يفهم من الضمير معنى؟ بقي منتظراً لعقبى الكلام كيف تكون! فيتمكن المسموع في ذهنه أفضل تمكن))[1].

قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾ [النساء: 73].

وذكر سبحانه وتعالى أيضاً: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف:92].

قال الرازي في الآية الأولى: ((انه اعتراض وقع في البين، وهو في غاية الحسن بيانه أنَّه تعالى حكى عن هذا المنافق انه اذا وقعت للمسلمين نكبة أظهر السرور الشديد بسبب أنه كان متخلفاً عنهم ولو فازوا بغنيمة...أظهر الغم الشديد بسبب فوات تلك الغنيمة))[2].

والمتمعن في الآية القرآنية يجد أنَّ قوله تعالى: ﴿كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾ التفاتة بليغة، واعتراض بين القائل والمقول بلفظ يظهر زيادة في قبح فعلهم[3].

أما الآية الثانية فقد قال الطبرسيّ عنها: ((وإنما أُعيد مرة ثانية من غير كناية لتغليظ الأمر في تكذيبهم شعيباً مع البيان أنهم الذين حصلوا على الخسران))[4].

فضلاً عن أنَّ ((...فيها قوة الاخبار عن هلاكهم وحلول المكروه بهم، والتنبيه على الاعتبار بهم كقوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْس﴾ [يونس: 24]))[5].

ومن اللافت للنظر أنَّ السياق القرآني ذكر أنهم لا يقيمون ثلاث مرات، ويبدو أنَّ في هذا التكرار تركيزاً على أنْ لا اقامة للكافرين، ولا غرور بهذه الدنيا الزائلة زيادة على أنَّ فيها من مواضع الاعتبار مالا يخفى إذ يجب على الإنسان أنْ يعتبر، ويتفكر في حال الماضين وما حلَّ بهم وما آلوا إليه.

وقال تعالى أيضاً: ﴿وَإِذَا مَسَّ الإنسان الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَائِماً فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ ﴾ [يونس: 12].

جاء في البحر المحيط: ((...والمعنى الذي أصابه الضر لا يزال داعياً ملتجئاً راغباً إلى الله في جميع الأحوال كلها، وابتدأ بالحالة الشائعة، وهي اضطجاعه وعجزه عن النهوض وهم أعظم في الدعاء وآكد ثم يليها وهي حالة القعود، وهي حالة العجز عن القيام ثم بما يليها))[6] زيادة على أن التعبير القرآني القرآني قدم المفعول به على الفاعل فهذا يوافق الدلالة على التعظيم، ومن ثم ذكر بعده كأن المخففة زيادة في التعظيم، والظاهر أنَّ الخطاب –هنا– عام للبشرية، وليس مختصاً بشخص واحد سواءٌ اكان كافراً أم

---

[1] الايضاح: 1/ 164.

[2] التفسير الكبير: 10/ 179–180.

[3] ينظر: البحر المحيط: 3/ 302.

[4] مجمع البيان: 4/ 308.

[5] ينظر: البحر المحيط: 4/ 438.

[6] المصدر نفسه: 5/ 133–134.

عاصياً، والذي ينعم النظر في الآيات التي وردت فيها كأن المخففة كانت تدل على مواضع الاعتبار، والترغيب، والترهيب، والتنبيه على أن هذه الدنيا زائلة فكأنما هي تذكير للعالم عامة وللمسلمين خاصة.

والملاحظ على (كأن) المخففة أنه لم يرد معها من الفواصل الاّ (لم)؛ ذلك أنَّ النحاة ذكروا أنَّ حكمها كحكم (أنْ) المفتوحة، فيكون خبرها جملة اسمية أو فعلية فصلت بلم أو قد[1].

على حين نجد الدكتور فاضل صالح السامرائي يذكر أنَّ (كأنْ) المخففة تفيد غرضين أحدهما – وهو الذي يهمنا– أنها تدخل على الجملة الفعلية بعد أنْ كانت تختص بالاسمية فقط؛ ذلك أنَّ المخففة تكون منصبة على الحالة التشبيهية لا على المشبه (المسند إليه) مثلما هو الحال في المثقلة، ولذا يرى أن لا موجب لتقدير ضمير الشأن؛ بل هي داخلة على الجملة الفعلية نظيرة (أنْ)[2](*).

وعندي: إن دخولها على الجملة الفعلية ليس بفكرة جديدة بل ذكرها العلماء من قبل في أثناء ذكرهم الفواصل أو حينما قالوا: إنَّ حالها كحال (أنْ)[3].

أما رأيه الذي يرى فيه أنْ لا موجب لتقدير ضمير الشأن، فلنا عليه كلام؛ ذلك أنَّ معظم اللغويين والنحويين ذكروا أنَّ تخفيفها لوجود الفاصل فانك تجد الاخفش، والنحاس يذكران أنَّ (كأنْ) في قوله تعالى: ﴿كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ﴾ هي الثقيلة خففت، ولكنه أضمر فيها فخففت كما تخفف (أنَّ) وانما هي كأنَّه لم[4].

---

(1) ينظر: التسهيل: 66، وهمع الهوامع: 1/ 456.

(2) ينظر: معاني النحو: 1/ 385–386.

(*) وقريب من هذا الرأي ذهب الدكتور إبراهيم السامرائي من قبل إلى أنَّ كلتا الأداتين يريد: أنْ وكأنْ حين تخفف تبتعد عن أصولها، وتصبح مواد جديدة لها شكل جديد في التعبير، فليس هناك حاجة إلى تقدير ضمير الشأن، وذهب إلى ان حرص النحاة على مسألة العامل هي التي دفعتهم إلى عد العمل سارياً في هاتين الأداتين المخففتين، ينظر: النحو العربي نقد وبناء: 88.

أقول: إنَّ النحاة كان كلامهم صحيحاً في تقدير ضمير الشأن ذلك أنهم أشاروا إلى مسألة مهمة وهي التخفيف وزوال الاختصاص أو قل الربط المستفاد منه عند تخفيف (أنْ)، وقد مضى هذا الكلام في أثناء البحث الذي ذكره سيبويه في: ج3/ 190، وابن السراج في: ج1/ 239–240، فكلام سيبويه وابن السراج يشير إلى أن الجملة تهيأ بعد التخفيف إلى الدخول على مواد جديدة وشكل جديد، فالذي يدقق في الكلامين المذكورين سلفاً يجد النحويين قد أشاروا إلى هذا التركيب الجديد...فالعوض الذي جيئ به عن التثقيل انما هو شكل جديد للجملة ثم إنَّ كلام سيبويه وابن السراج يقر أنَّ الكلام لا يستقيم إن لم يذكر الفاصل أو العوض؛ ذلك أنَّ (أنْ) كانت مختصة بالدخول على الجملة الاسمية فلما خففت زال هذا الاختصاص فآذنت بالدخول على الجمل الفعلية فلابد أن تأتي بشيء بين أن والفعل عوضاً من الاسم، وحريّ بالذكر أن نشير إلى أن في كلام سيبويه وابن السراج ما يشير إلى ما يعرف في علم اللغة الحديث بالسياق المقامي، أي: السياق اللفظي.

(3) ينظر: التسهيل: 66، وهمع الهوامع: 1/ 456.

(4) ينظر: معاني القرآن: 2/ 647، واعراب القرآن: 1/ 189.

قال الرضيّ: ((فاذا خففت (كأنْ) فالاصح الغاؤها...واذ لم تعملها لفظاً، ففيها ضمير شأن مقدر عندهم كما في (أنْ) المخففة ويجوز أن يقال: ان ذلك غير مقدِّر بعدها لعدم الداعي إليه كما كان في (أنْ) المخففة؛ لكن لمَّا لزم الفعلية التي تليها ما لزم (أنْ) المخففة من حروف العوض قوى اضمار الشَّأْن بعدها، واجراءً لها مجرى (أن)، ولزوم حروف العوض بعدها في الفعلية...))[1].

فضلاً عن أنَّ السياق يوحي لنا ان هناك شيئاً محذوفاً في الجملة تدل عليه الجملة الفعلية بعده، وهي التي تفسر الضمير، فمن البديهي ان تكون العناية منصبة على الحالة التشبيهية أو انها داخلة على الجملة الفعلية كما ذهب الدكتور فاضل السامرائي، فالدخول على الجملة الفعلية انما هو تفسير لذلك الضمير المحذوف؛ في حين وردت ثلاث عشرة آية ذكرت فيها (أنْ) المخففة متبوعة بـ(لن) معظمها تشير إلى قدرة الله في خلقه أو هي خطاب لمنكري البعث إذ جاء السياق القرآني معبراً عن تلك القدرة أو ذلك الخطاب بأنْ المخففة متبوعة بـ(لن).

وهي الآتي: الكهف: 48، الانبياء: 87، الحج: 15، محمد: 29، الفتح: 12، التغابن: 7، الجن: 5، 7، 12، المزمل: 20، القيامة: 31، الانشقاق: 14، البلد: 5، وقد وردت سبع عشرة آية من الايات الاربع والثلاثين ذكرت فيها (أنْ) المخففة مسبوقة بفعل علم أو رجحان، جاء في كتاب سيبويه: ((...كأنك قلت: قد حسبتُ انه لا يقول ذاك، وانما حَسُنت –هاهنا– لأنك قد أثبتَّ هذا في ظنك كما اثبته في علمك، وأنَّك أدخلته في ظنك على أنه ثابت الآن كما في العلم...وانما منع خشيت ان تكون بمنزلة خلتُ وظَنَنْتُ وعَلِمتُ اذا أردت الرفع أنك لا تريد أن تخبر أنك تخشى شيئاً قد ثبت عندك...))[2]، وهذا ما أكده المبرّد في قوله: ((وللثقيلة أفعال، وللخفيفة أفعال سواها...فان أردت الثقيلة مع الفعل الماضي دخل منه العوض (قَدْ) فقلت: قد علمتُ أنْ قد ذهب زيد، أي: انه قد ذهب اما ما كان منه العلم فإنَّ (أنْ) لا تكون بعده الا ثقيلة؛ لانه شيء قد ثبت واستقر وذلك قولك: قد علمت أنَّ زيداً منطلقٌ، فإنْ خففت، فعلى ارادة التثقيل والاضمار تقول: قد علمتُ أنْ سيقوم زيدٌ تريد: أنه سيقوم زيد، قال الله –عز وجل–: ﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى﴾ [المزمل: 20]. لانه شيء قد استقر الا ترى انه لا يصلح: علمت أنْ يقوم زيد؛ لأنَّ (أنْ) الخفيفة انما تكون لما لم يثبت نحو: خفت أن تقوم يا فتى، وأرجو أن تذهب إلى زيد؛ لأنه شيء لم يستقر فكلُّ ما كان من الرجاء والخوف فهذا مجازه))[3].

فالذي يدقق النظر في الآيات المذكورة سلفاً يجد السياق القرآني فيها يشير إلى ان هذا الزعم أو العلم أو الحسبان قد تمكن في عقولهم، وثبت، واستقر عندهم؛ لان ذلك وان كان جهلاً في الحقيقة فانه

---

[1] ينظر: شرح الرضي: 4/ 370.

[2] كتاب سيبويه: 3/ 189–190.

[3] المقتضب: 3/ 4–5.

كان عندهم علماً لفرط جهلهم؛ ذلك أنَّ ما كان من هذه الأفعال للظن وان وقعت بعدها الثقيلة فعلى انه قد استقر في ظنك كما استقر الأول في علمك، اما النصب، فعلى أنَّه شيء لم يستقر[1].

واليك بعض الأمثلة القرآنية:

قال تعالى: ﴿وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفّاً لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِداً﴾ (الكهف:48).

جاء في التفسير الكبير: ((...، أي: كنتم مع التعزز على المؤمنين بالأموال، والأنصار تنكرون البعث فالآن قد تركتم الأموال، والأنصار في الدنيا ومشاهدتهم أنَّ البعث، والقيامة حق))[2]، وقد شبه الباري –عز وجل– منكري البعث بحال المعروضين على السلطان مصطفين ظاهرين يرى جماعتهم كما يرى كل واحد لا يحجب أحدُ أحداً، والمعنى: أن لن نجمع لاعادتكم، وحسرتكم موعداً، أي: مكان وعد، وزمان وعد لانجاز ما وعدتم على السنة الأنبياء من البعث والنشور[3].

وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾ [الحج:15].

ذكر النَّحاس: ((أنَّ المعنى من كان يظن أنْ لن ينصرَ الله –عز وجل– محمداً (صلى الله عليه وسلم) وانه يتهيأ له أنْ يقطع النصر الذي أوتيه، فليمدد بسبب إلى السماء، أي: فليطلب حيلة يصل بها إلى السماء...))[4].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ...﴾ [المزمل: 20].

وكان الزمخشريّ يرى أنَّ: ((...أي علم أنه لا يصح منكم ضبط الأوقات، ولا يتأتى حسابها بالتعديل، والتسوية الا أن تأخذوا بالاوسع للاحتياط وذلك شاق عليكم بالغ منكم))[5]، وذكر الطبرسيّ عدة آراء منها: انه لن يطيقوا معرفة ذلك، وقيل: معناه لن يطيقوا المداومة على قيام الليل، ويقع منكم التقصير فيه[6]، وخلاصة القول: إنَّ معظم الآيات التي وردت فيها أن المخففة من الثقيلة متبوعة بلن كانت قد دلت أو اشارت إلى قدرة الله في الخلق أو هي خطاب لمنكري البعث على سبيل التقرير، والاعتبار، والتهكم.

---

[1] ينظر: المصدر نفسه: 3/ 5.

[2] التفسير الكبير: 19/ 134.

[3] ينظر: البحر المحيط: 6/ 128.

[4] إعراب القرآن: 3/ 29، وينظر: معاني القرآن واعرابه: 3/ 338، والجامع لاحكام القرآن: 12/ 16.

[5] الكشاف: 4/ 643.

[6] ينظر: مجمع البيان: 10/ 199.

ولعل السبب في كثرة مجيء أنْ المخففة من الثقيلة ملازمة للن في غير موضع، –ولاسيما السور المكية – لما تتميز به هذه الأداة من أنها تخلص الفعل للاستقبال، وتنفيه نفياً مؤكداً[1]، والسبب يعود في ذلك –والله اعلم– إلى أن هذا الشيء الذي زعموه أو علموا به أو حسبوه قد استقر عندهم، وليس هناك مجال للشك فيه وان كان ظنهم أو علمهم جهلاً؛ ذلك أنَّ هذا الظن أو الحسبان، وقر في نفوسهم فهم يتصورون أنه لا يتمكن منهم أحد ولا يقدر عليهم أحد، فناسب هذا الاعتقاد ان يأتي –التعبير القرآني– بفعل من أفعال العلم أو الرجحان، ومن ثم وليته أنْ المخففة، ومن بعدها الفاصل (لن) الذي يدل بدوره على المستقبل المنفي المؤكد، والذي يزيد –بحسب فهمهم– من تمكنهم وحبهم للدنيا وان ظنهم نافذ للمستقبل وانه غير آيل للسقوط، ولهذا ذكر الباري –عز وجل– هذا الأسلوب أو قل هذا التركيب المتكون من فعل العلم أو الرجحان؛ ليشير إلى ما كان في عقولهم من وهم باطل وليشير بدوره أيضاً إلى درس تربوي يستفيد منه الإنسان من أنَّ الباري –عز وجل– هو الخالق أو المقدر والمسيطر.

[1] ينظر: شرح الرضيّ: 4/ 34، وشرح المفصل: 5/ 39.

ملخص البحث:

نذكر –هنا– جملة من النتائج التي توصلنا إليها وأرجو ان تكون نافعة.

1–ثبت في البحث أنَّ هناك عدداً من النحويين الكوفيين ذكروا تسمية العماد وهذا يعني أنَّ الفراء لم يكن مخطئاً أو أنَّ الكوفيين لم يخلطوا في المصطلحات النحوية–على رأي بعض المحدثين– ذلك اننا وجدنا عدة أدلة تشير إلى أنَّ الكوفيين لم يخلطوا في مصطلحي الشَّأن والعماد، وقد ذكرناها في أثناء البحث.

2–كشفنا عن أن الفكرة التي ذكرها صاحب كتاب التطور النحوي هي فكرة ذكرها–كما بينت– علماؤنا الأوائل كالجرجانيّ، وابن يعيش، والسيوطيّ.

3–بلغ عدد الآيات التي ذكر فيها ضمير الشَّأْن نحو: ثمان وثمانين اية قد ذكر بعدة صيغ كانت جميعها تشير إلى مواضع التفخيم والتعظيم، والوعد والوعيد، والاتعاض.

4–ظهرت عدة تعابير قرآنية مسبوقة بهذا الضمير لاسيما مع إنَّ وأنَّ إذ دل دخوله على كلتيهما مع أداة الشرط (مَنْ) هي وجوابها على انه يفيده في أثناء دخوله على إنَّ وأنَّ توكيد الجملة المفسرة المصرح بجزأيها فضلاً عن تعظيمها، ولذلك نجد أن هذا التعبير اختص بالامور العظيمة كقتل النفس المحرم قتلها، والشرك بالله، والقنوط من رحمته، والصبر، والتقوى، فكأن أنَّ وإنَّ قد سبكت مع ضمير الشأن وأفرغت افراغاً واحداً، فتجد التعبير القرآني قد ركز في هذا الأمر على الأمور العظيمة التي تستوجب التعظيم، ولعل اللغويين والمفسرين (هو) ليس بضمير شأن في ((قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)) نابع من رؤيته إلى أنَّ ضمير الشأن لا يأتي الا مع الناسخ فكأنه رأى شدة الاتصال بين إن وضمير الشأن، وكأنه أراد المقولة التي ذكرها الجرجاني من أنه لا يصلح حيث صلح الا بها فعزا إلى أنْ يأتي ضمير الشأن مع ان واخواتها ولا يأتي منفصلاً.

5–تبين أنَّ ثمة فرقاً بين ان تقول: ((فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الْأَبْصَارُ))، وفإنَّ الأبصار لا تعمى، إذ اتضح أنَّ الشيء إذا أضمر ثم فُسِّر كان ذلك أفخم له من أنْ يذكر من غير تقدم إضمار، ولعل هذا هو السبب الذي جعل النحاة يضعون له شرطاً مفاده: أنَّ مفسره لا يكون الاّ جملة (مصرح بجزأيها)، لهذا لم يشاركه في ذلك ضمير؛ فضلاً عن أنَّ ذكره منفصلاً يكون أقوى من ذكره متصلاً والدليل على ما نقول: انه ان ذكر متصلاً فتجده متصلاً بـ(إن) بسبب الحاجة إليها، فلا تكاد تجده مع الجملة من الشرط والجواب؛ بل انك تراه لا يجيء الا بـ(إن أو أنّ) في حين أنَّ المنفصل لا يحتاج إلى ان التوكيدية، ولهذا وجدناه –في أثناء البحث– منفصلاً متبوعاً باسم (الله) تعالى أو انه ورد منفصلاً في تلك الامور العظيمة التي تسترعي الانتباه، والتي تثير الدهشة، فجاء مسبوقاً باذا الفجائية.

6–اتضح أنَّ السياق القرآني استعمل صيغة: إنَّه لا يفلح الظالمون وما شابهها لتلك الأمور التي يعاني المجتمع من مفاسدها، وتأثيرها عليه إذ نجد الباري –جل وعز– قد ذكر معظم الصفات الرذيلة:

كالظالمين، والمستكبرين والمجرمين...الخ مسبوقة بضمير الشَّأْن ولا النافية؛ ليدل على ما تؤديه تلك الطائفة من مفاسد اجتماعية؛ فضلاً عن أنك تجد فرقاً بين قولك: انه لا يفلح الظالمون، وقولك: إن الظالمين لا يفلحون إذ انك تجد أنَّ الجملة الأولى فيها شيء من القوة في النفي بخلاف الثانية، فتأخير الضمير في الأولى عن المفسر يعطي دلالة قوية في تفخيم المفسر وتعظيمه، وهذا ما استعمله التعبير القرآني ولاسيما مع تلك الصفات.

7–وردت أن المخففة في عدد غير قليل من الآيات مسبوقة بفعل علم أو رجحان، ومن ثم جاء بعدها الفاصل (لن) إذ أشارت تلك الآيات التي وردت بهذه الصيغة إلى قدرة الله في الخلق، أو هي خطاب لاولئك الذين ينكرون البعث إذ جاء السياق معبراً عن تلك القدرة أو ذلك الخطاب على سبيل التهكم، أو التقرير والاعتبار؛ ذلك أن السياق القرآني في ظنهم الخاطئ صور ذلك في زعمهم أو عملهم الذي استقر عندهم إذ انهم حسبوه حقيقة في ظنهم الخاطئ.

8–استنتجنا أنَّ النحويين كان فهمهم لضمير الشأن صحيحاً، وذلك من خلال تقسيماتهم لـ(أنْ) المخففة؛ غير أننا وجدنا بعض النحويين المتخصصين بكتب إعراب القرآن، فضلا عن المفسرين يذكرون وجهين أحياناً للآية القرآنية التي وردت فيها (أنْ) المخففة، إذ نجدهم يقرون أنها مخففة من الثقيلة تارة، ويذكرون بإزائها أنها تجوز أن تكون تفسيرية تارة أخرى؛ على حين نجد السياق يشير صراحة إلى أنها تفسيرية، فكشفنا في أثناء البحث عن أنَّ النحويين كانت قواعدهم دقيقة اما المفسرون وبعض اللغويين، فيبدو أنهم فاتهم أنَّ لأنْ التفسيرية شروطاً تتسم بها، ولكنهم رجحوا أنْ تكون مخففة، ولعل ذلك السبب راجع إلى نظرتهم إلى سياق الآيات، ودلالتها على التعظيم.

9–ناقشنا في البحث عدة أفكار طرحها بعض المحدثين مثل: محمد عبد الله والدكتور إبراهيم السامرائي، وفاضل صالح السامرائي، إذ عرضنا عدة أدلة نحسب أنها كافية في إثبات ارجحية النحاة، فضلاً عن أننا بينا رأي محمد محيي الدين عبد الحميد الذي ناقض نفسه فيه حينما أشكل على ابن مالك في عده إذا من الفواصل في أثناء تحقيقه كتاب شرح قطر الندى على حين ذكر ابن هشام (إذا) وعدّها من الفواصل في شرح شذور الذهب.

ولعلي لا ابالغ ان قلت أخيراً: إن على مثقفينا في هذا الزمان أنْ يستعملوا في كتاباتهم بعض الصيغ العربية المفيدة بدلاً من بعض الأساليب التي لم يرد لها ذكر في القرآن الكريم كقولهم: فاذا به مذكور والصواب ان يقال: فاذا هو مذكور، ونرجو أيضاً أنْ تستعمل إنْ المخففة مع اللام الفارقة في بعض الصيغ، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

The summary in English

"Ash-shaa'n pronoun in AL-Kuraa'n, syutactic study"

1-From the research it becomes clear that three are some Kufian grammarians mentioned the name of (AL-ema'd) This means that the Kura'n was not wrong or that the Kufian did not mix in the syntactical terms according to the view of some modernism.

2-We have discovered that the idea which Birgistraser has meutioned is an idea which has meutioned by our ancieut scientists: like AL- Jurjany, Ibn- ya'esh and As- siuoty.

3-The verses in which this pronoun has mentioned are eighty- eight forms and there are others later- All of them refered to positions of promise, a dvice and highness.

4-There are terms which appeared in AL- Kura'n came preceded by this pronoun such as with "ENNa" and "ANNa'' so we find this term is special for great things.

5-We have discussed in the research so many ideas which have tack led by some of the modern isms such as: Mohammad abdula'h, Dr. Ibraheem As-samarai'y and Fadil Salih As –samarai'y.

Finally, I say for our cultural people in this time to make use in their writings some Arabic forms which are really use in their writing some Arabic forms which are really useful in stead of the forms which are far a way from AL- Kuraa'n.

ثبت المصادر والمراجع

1-أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة: أحمد مكي الأنصاريّ، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، القاهرة، 1964م.

2-ارتشاف الضرب من لسان العرب: أبو حيان الأندلسي (ت745هـ)، مطبعة المدني، ط1، القاهرة، 1987م.

3-أساليب النفي في القرآن: أحمد ماهر البقري، دار المعارف، ط2، مصر، 1984م.

4-الأصول دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب: تمام حسان، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1987م.

5-الأصول في النحو: ابن السراج (ت316هـ)، تح: عبد الحسين الفتليّ، مؤسسة الرسالة، ط4، بيروت، لبنان، 1999م.

6-إعراب القرآن: النَّحاس (ت338هـ)، تح: زهير غازي زاهد، مكتبة النهضة العربية، ط3، بيروت، لبنان، 1988م.

7-الايضاح في علوم البلاغة: القزويني (ت739هـ)، شرح وتعليق: محمد السعديّ ورفيقاه، دار الكتاب المصري، القاهرة، 2004م.

8-البحر المحيط: أبو حيان الأندلسيّ، تح: عادل أحمد عبد الموجود ورفاقه، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 2001م.

9-التبيان في إعراب القرآن: العكبريّ (ت616هـ)، تح: علي محمد البجاويّ، دار الجيل، ط2، بيروت، لبنان، 1988م.

10-تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ابن مالك (ت673هـ)، تح: محمد كامل بركات، دار الكتب العربي، مصر، 1967م.

11-التَّطور النحوي للغة العربية: برجستراسر، اخرجه وعلق عليه: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1982م.

12-تفسير البيضاوي (ت791هـ)، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ط1، بيروت، لبنان 1990م.

13-التفسير الكبير: الرازي (ت606هـ)، دار الكتب العلمية، ط2، طهران، د. ت.

14-الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (ت671هـ)، تح: سالم مصطفى البدريّ، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 2000م.

15-الجامع النحوي حياته وآثاره مع تحقيق كتابه كشف المشكلات وايضاح المعضلات وعلل القراءات المروية عن الأئمة السبعة د. عبد القادر السعديّ، رسالة دكتوراه، آداب بغداد، 1987م.

16- حاشية الصبان على شرح الاشموني :محمد بن علي (ت 1206 هـ)، دار احياء الكتب العربية ،مصر ، د.ت.
17-الخصائص: ابن جني (ت392هـ)، تح: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د. ت.
18-دراسة في النحو الكوفي من خلال معاني القرآن للفراء: المختار أحمد ديرة، دار قتيبة للطباعة والنشر، ط1، ليبيا، 1991م.
19-دلائل الاعجاز في علم المعاني: عبد القاهر الجرجانيّ (471هـ)، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 2001م.
20-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الآلوسي (ت1270هـ)، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د.ت.
21-شرح ابن عقيل: ابن عقيل (ت769هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ناصر خسرو، ط1، قم، ايران، د.ت.
22-شرح الأشموني على الفية ابن مالك: نور الدين الأشموني (ت929هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1929م.
23-شرح جمل الزجاجي: ابن عصفور (ت669هـ)، تح: اميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1998م.
24-شرح الرضيّ على الكافية: رضي الدين الاستراباذي (ت688هـ)، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، مؤسسة الصادق، ايران، 1978م.
25-شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب: ابن هشام الأنصاري (ت761هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة امير قم، ايران، د.ت.
26-شرح قطر الندى وبل الصدى: ابن هشام، تح: مازن البارك ورفيقه، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، ايران، د.ت.
27-شرح كافية ابن الحاجب: عبد العزيز الموصلي (ت696هـ)، تح: علي الشويلي، دار الكندي للنشر والتوزيع، دار الأمل، الاردن، ط1، 1421هـ.
28-شرح المفصل: ابن يعيش (ت643هـ)، تح: اميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 2001م.
29-الضمائر في اللغة: محمد عبد الله جبر، دار المعارف، ط1، مصر، 1983م.
30-الطراز المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز: العلوي (ت746هـ)، مطبعة المقتطف، مصر، .1914

31-فتح القدير: الشوكاني (ت1250هـ) ضبط وتصحيح: أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1994م.
32-الفوائد الضيائية: نور الدين الجامي (ت798هـ)، تح: اسامة طه الرفاعيّ، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2003م.
33-القاموس المحيط: الفيروزآبادي (ت817 هـ)، دار الجيل، بيروت، لبنان، د.ت.
34-كتاب سيبويه: سيبويه (ت180هـ)، تح: اميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1999م.
35-الكشاف: الزمخشريّ (ت528هـ)، رتبه وصححه: مصطفى حسين، منشورات البلاغة، ايران، د.ت.
36-لسان العرب: ابن منظور (ت711هـ)، دار صادر، بيروت، د.ت.
37-لمسات بيانية في نصوص من التنزيل: فاضل صالح السامرائي، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، بغداد، 1999م.
38-اللمع في العربية: ابن جنيّ، تح: حامد المؤمن، مطبعة العاني، بغداد، 1983م.
39-المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ابن الأثير (ت637هـ)، مصر، د.ت.
40-مجالس ثعلب: ثعلب (ت391هـ)، تح: عبد السلام هارون، دار المعارف، ط4، مصر، 1980م.
41-مجمع البيان في تفسير القرآن: الطبرسيّ (ت548هـ)، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1997م.
42-المحلى (وجوه النصب): ابن شقير النحويّ (ت317هـ)، تح: فائز فارس، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، لبنان، 1987م.
43-المدارس النحوية أسطورة وواقع: إبراهيم السامرائي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، 1987م.
44-المدارس النحوية: شوقي ضيف، دار المعارف، ط6، مصر، 1499هـ.
45-مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو: مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، مصر، 1967م.
46-معاني الحروف: الرّماني (ت384هـ)، تح: عبد الفتاح اسماعيل شلبي، مكتبة الطالب الجامعي، مصر، د.ت.
47-معاني القرآن: الاخفش (ت215هـ)، تح: عبد الامير الورد، عالم الكتب، بيروت، 1987م.
48-معاني القرآن: الفراء (ت207هـ)، تح: محمد علي النجار ورفاقه، دار السرور، مصر، 1955م.
49-معاني القرآن واعرابه: الزجاج (ت311هـ)، تح: عبد الفتاح اسماعيل شلبي، دار الحديث، القاهرة، 2004م.

50-معاني النحو: فاضل السامرائي، دار الحكمة، الموصل، 1991م.
51-مغني اللبيب عن كتب الاعاريب، ابن هشام، تح: مازن المبارك ورفيقه، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، ايران، د.ت.
52-مفردات الفاظ القرآن: الراغب الاصفهاني (ت في حدود 425هـ)، تح: صفوان عدنان داوودي، مطبعة ايران، ط3، ايران، 1382هـ.
53-المقتصد في شرح الايضاح: عبد القاهر الجرجاني، تح: كاظم بحر المرجان، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1982م.
54-المقتضب: المبرّد (ت285هـ)، تح: اميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1999م.
55-الميزان في تفسير القرآن: الطبطبائي (ت1360هـ) مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ط1، بيروت، لبنان، 1997م.
56-النحو العربي نقد وبناء: إبراهيم السامرائي، دار الصادق، بغداد، د.ت.
57-نحو القراء الكوفيين: خديجة احمد مفتي، المكتبة الفيصلية، مكة، 1985م.
58-همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، السيوطي (ت911هـ)، تح: احمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1998م.